الرؤى والمنامات في بلاد المغرب الإسلامي حتى نهاية عصر الموحدين دراسة تاريخية

د. إبراهيم السيد شحاتة عوض*
dr_ibrahim_010@yahoo.com

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة موضوع (الرؤى والمنامات في بلاد المغرب الإسلامي حتى نهاية عصر الموحدين؛ دراسة تاريخيَّة)، وذلك من خلال تحديد مفهوم الرؤى المناميَّة لغويًّا واصطلاحيًّا، وتوضيح الفرق بينها وبين الرؤية والحلم، وبيان أقسامها، ثمَّ الحديث عن المعبرين، وبيان تكوينهم العلمي، ومنهجهم في تعبير الرؤى والمنامات وتفسيرها، ومدى اهتمام الناس بسؤالهم عن تعبير رؤاهم ومناماتهم. وكذلك بيان أثر الرؤى والمنامات في السياسة والاقتصاد وبعض المظاهر الاجتماعية، بالإضافة إلى إلقاء الضوع على أثرها في بعض القضايا الدينية والفكرية.

وقد خلص البحث في النهاية إلى أنَّ المغاربة كانوا يعتقدون في الرؤى والمنامات، وذلك على مستوى معظم الفئات الاجتماعية من حكَّام وعلماء وفقهاء وعوام الناس. ومن هذا المنطلق كان هؤلاء جميعًا حريصين على معرفة تعبير رؤاهم ومناماتهم، سواء بسؤال المعبرين عن تعبيرها وتفسيرها أم بمحاولة الاجتهاد الشخصي القائم على التعويل على ألفاظ الرؤيا ومدلولاتها أم بالنظر في بعض كتب تعبير الأحلام وتفسيرها.

كما خلص البحث أيضًا إلى أنَّ الرؤى والمنامات كان لها صدى وآثار مختلفة في بعض القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعيَّة والدينيَّة والفكرية إبَّان فترة الدراسة.

* **كلمات مفتاحية:** الرؤى والمنامات؛ بلاد المغرب الإسلامي؛ عصر الموحدين.

* مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - كلية دار العلوم- جامعة القاهرة

مقدمة:

لا تخلو حياة أي إنسان من الرؤى والمنامات[١]. ويروي لنا التاريخ قصصا متعددة لرؤى ومنامات كان لها قيمة تاريخيَّة، ومنها رؤيا كسرى لكلب يخطف طعامه فيعيده إليه أسد، وكيف عبَّرها له أحد وزرائه بزوال ملكه ثم عودته إليه على يد حليف قوي من العرب[٢]. كما أنَّ القرآن الكريم ذكر لنا مجموعة من الرؤى والمنامات مبينًا قيمتها ومدلولاتها التوقعيَّة، الأمر الذي يُعَدُّ شاهدًا حقيقيًّا على حقيقة الرؤى والأحلام، ومن ذلك ما ذكره من أنَّ يوسف عليه السلام قصَّ رؤياه على والده يعقوب عليه السلام، والتي تحقَّقت بعد حين، بالإضافة إلى إخباره بأنَّ يوسف عليه السلام كان يُعبِّر الرؤيا لمن يقصُّها عليه[٣].

وقد صدق أحد الباحثين عندما قال :"وجدير بالذكر أنَّ بعض الأحداث التاريخيَّة كانت تتحكم فيها أمور غيبية، أو منامات ليليَّة، حتى إنَّه يمكننا القول بأنَّ جزءًا من تاريخنا –وإن كان قليلًا– ما كان له أن يوجد لولا بعض الرؤى والأحلام"[٤]. كما صدق باحث آخر حينما نوَّه إلى أننا يجب علينا ألَّا نكتفي فقط بدراسة الشعوب في يقظتها، بل في منامهم أيضًا؛ حتَّى يكتمل المشهد التاريخي[٥].

وبالنسبة لتاريخ المغرب الإسلامي؛ فإنَّ القراءة في مصادره تعطي دلالةً واضحةً على أنَّ الرؤى والمنامات كان لها أهميَّةٌ عند إنسان المغرب، من حيثُ انشغالُه بها، واعتقادُه فيها، وأخذُ أحداثها بعين الاعتبار، وبخاصة في أوقات الفتن والثورات والأزمات المالية، وكذلك في الأوساط ذات المنحى الزهدي والصوفي التي اتَّسعت رقعتها في بلاد المغرب، لدرجة أنَّ أحدهم عقَّب على

اندهاش البعض من علمه ببعض الأمور الغيبيَّة بقوله :"للناس رؤى ومنامات"(٦). هذا بالإضافة إلى ارتباط هذه الرؤى والمنامات ببعض الأحداث السياسيَّة والقضايا الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة والفكريَّة.

ومن هنا؛ فإنَّ هذا البحث يحاول إلقاء الضوء على الرؤى والمنامات في بلاد المغرب الإسلامي من المنظور التاريخي، وذلك بالتركيز على دراسة الفترة التاريخيَّة الممتدَّة من تَمام الفتح الإسلامي لبلاد المغرب آواخر سنة (٩٥هـ/٧١٥م) وحتى سقوط دولة الموحدين سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)؛ فمع بداية هذه الفترة أصبح المغرب إقليمًا إسلاميًّا، ومع نهايتها سقطت دولة الموحدين التي سيطرت على المغرب كلِّه، فتوزَّع حكمُه على ثلاث دول، هي: الدولة الحفصيَّة في المغرب الأدنى، والدولة الزيَّانيَّة في المغرب الأوسط، والدولة المرينيَّة في المغرب الأقصى. وهذه الفترة تُعَدُّ –من جهة أخرى– فترةً طويلةً نسبيًّا تتلاءم مع قلَّة المادة المصدريَّة حول الموضوع، وتسمح بالكشف الواضح عن تفاصيله.

وعلى الرغم من أنَّ الباحث لم يجد أيَّ عمل أكاديمي باللغة العربية تناول هذا الموضوع بشكل مفصَّل في مجتمع المغرب الإسلامي في حدود ما تمَّ الاطّلاع عليه من دراسات تخصُّ المغرب؛ فإنَّه يؤكِّد –في الوقت نفسه– أنَّ هناك دراستين مهمَّتين خارج النطاق الجغرافي لهذا الموضوع، كان لهما أهميَّة بالغة ومتعددة الجوانب على هذه الدراسة، من حيث التنويه بأهميَّة دراسة الموضوع، ومنهج التعامل معه. وقد تمثَّلت الدراسة الأولى في دراسة الدكتور شلبي إبراهيم الجعيدي بعنوان (الرؤى والمنامات في مصر الإسلاميَّة دراسة تاريخيَّة)، في حين تمثَّلت الدراسة الثانية في دراسة الدكتور محمد مؤنس عوض

بعنوان (الأحلام والرؤى في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام وأوربا خلال المرحلة من ١٠٩٨م إلى ١٢١٢م).

هذا؛ وقد تمَّت دراسة الموضوع من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للرؤى المناميَّة، وتحديد أقسامها، والحديث عن المعبرين وتكوينهم العلمي ومنهجهم في تعبير الرؤى، ومدى اهتمام المغاربة بالبحث عن تعبير أحلامهم ومناماتهم. ثمَّ عرَّجت الدراسة على بيان أثر الرؤى والمنامات في السياسة والاقتصاد وبعض المظاهر الاجتماعية، بالإضافة إلى الكشف عن صداها وآثارها في القضايا الدينيَّة والفكريَّة والعلميَّة.

أولًا: تعريف الرؤى المناميَّة:

الرُّؤْيا: ما يراه الإنسان في منامه، ورأى في منامه رُؤْيا على فُعْلَى، بلا تنوين. وحُكِيَ أنها تُخفَّفُ على رُيَّا ورِيَّا، وأَرْأَى الرجلُ إذا كثرت رُؤَاه، بوزن رُعَاه، وهي أحلامه. وجمع الرؤيا: رؤىً بالتنوين. يقال: رأَيْتُ عنك رؤىً حسنة. معنى ذلك أنَّ الرؤيا والحلم يشيران من الناحية اللغوية إلى مدلول واحد، وهو ما يراه الإنسان في النوم. وقد أظهرت التعريفات اللغوية فرقَيْن رئيسَيْن بين الرؤية والرؤيا، تمثَّل الأول في أنَّ الرؤية مختصة بما يراه الإنسان في حال اليقظة، بينما تختص الرؤيا بما يراه الإنسان في حال النوم. أمَّا الثاني فيتمثَّل في أنَّ الرؤية غير المنامية يقصد إليها الإنسان في الجملة، في حين أنَّه لا يقصد إلى الرؤيا غير المناميَّة ولا يتعمدها، بدليل مجيئها صادقة وكاذبة، مبشرة ومحزنة(٧).

هذا بالنسبة إلى التعريف اللغوي. أمَّا بالنسبة للتعريف الاصطلاحي، فقد ثبت في صحيح البخاري أنَّ الرؤيا ثلاثة أقسام، رؤيا مبشرة من الله تعالى، ورؤيا

تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يُحَدِّثُ المرءُ به نفسه في اليقظة فيراه في المنام[٨]. وعلى هذا الأساس قسَّم الفقهاء الرؤيا من حيث الاصطلاح على ثلاثة أقسام، هي:

الأول: رؤيا ربانيَّة، ويُقصد بها ما يراه الإنسان في نومه من الخير والبِشارة، ويُطلق عليها الرؤيا المُبشرة أو الصادقة، وهي التي تكون من الإنسان الصالح؛ لقول النبي صلَّى الله عليه وسلم :"الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة"[٩]. ويعلَّق الشاطبي على ذلك قائلًا :"الرؤيا التي هي جزء من النبوة من شرطها أن تكون صالحة، ومن الرجل الصالح"[١٠]. وهذه الرؤيا هي المبشرات التي أخبر عنها الرسول صلَّى الله عليه وسلم قائلًا :"لم يبقَ من النبوة إلَّا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة"[١١].

وقد تعدَّدت أمثلة هذه الرؤى في المغرب إبَّان فترة الدراسة، حيث ارتبطت بالفقهاء والصلحاء. ومن أمثلة ذلك ما جاء في ترجمة عَوْن الخُزَاعِي[١٢] (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م) من أنَّ امرأةً صالحة رأتْ بيسير من موته في منامها كأنَّ القيامة قامت، وحُشر الناس، وقد جِيء بخمسة أفراس بسُرجها ولجمها، مكللة بأنواع الجوهر، وتمَّ تقديمها لعون جزاءً له على علمه وعبادته، وأعلمت بذلك عونًا، ففرح وبكى بكاءً شديدًا وقال لها: "والله يا ابنة أخي لو أصبحْتُ أملكُ دِرْهَمًا لتقرَّبْتُ به إلى الله تعالى شُكْرًا لهذه الرؤيا". ثمَّ أقبل يبكي ويقول: "مَنْ أنتَ يا عون؟ وبأيِّ شيء نِلْتَ هذا يا عون؟"[١٣]

الثاني: رؤيا شيطانيَّة، ويقصد بها ما يراه الإنسان في منامه من التخليط والأوهام التي يكون مصدرها الشيطان[١٤] بغرض تخويف المؤمن وإزعاجه وإصابته بالحزن. ويطلق عليها أيضًا (الحلم)، تفرقةً بينها وبين الرؤيا الصالحة،

يقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم :"الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخَافُه فليبصق عن يساره، وليتعوَّذ بالله من شره، فإنه لا يضره"(١٥).

ومن أمثلة هذا النوع بالمغرب إبَّان فترة الدراسة أنَّ رجلًا أَتَى الفقيه سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) حزينًا ومهمومًا بسبب رؤيا مُزْعِجَة رآها له، فجلس حتَّى انصرف الناس وخلا المجلس، فأخذ في البكاء، فسأله سحنون عن سبب بكائه، فذكر له أنَّه رأى كأنَّ القيامة قد قامت وأنَّ الناس قد حُشِرُوا، ثمَّ قال لسحنون :"وأُتِي بك، وأنا أعرفك في منامي كما أعرفك في يقظتي"، ثمَّ وصف له أنَّه فُعِلَ به من الأغلال والسرابيل وأصناف الأنكال أمر عظيم، وأنَّه أُمِرَ به فألقي في النار. فما كان من سحنون إلَّا أنْ صبَّره وسكَّنه وأرسل في طلب رؤساء كنيسة النصارى، فأتي إليه باثنين منهم، فجلسا، فسألهما قائلًا :"هل مات لكم في هذا الوقت أحد تعظمونه؟" قال :"بلى"، ووصفا من حال ميتهم شيئًا كثيرًا، فقال لهما سحنون :"هل من شأنكم أن تروا في منامكم شيئًا؟" قالا :"بلى" قال :"فهل رأيتما لهذا الميت الذي صفتما شيئًا؟" فقالا :"نعم، جاءت فيه رؤى كثيرة"، ووصفا فيه من الخير والترفيع له أمرًا كبيرًا. فقال :"انصرفا". ثمَّ قال للرجل :"كيف ترى؟ هل تشك في هؤلاء ومن مات منهم أنَّه من أهل النار؟" فقال الرجل :"لا"، فقال له سحنون :"فاعلم أنَّ الشيطان يأتي المؤمن بما يثبطه وينفره عن الخير ويمقِّته إليه ويمقت إليه أهله، ويأتي إلى الكافر بما يغبط إليه حاله ويثبته على أمره. وإنما رآك تكثر الاختلاف إلينا والائتمام بنا، فأراد أن يخذلك ويصدّك"(١٦).

الثالث: رؤيا الهمّة، ويقصد بها تلك الرؤى التي يكون مصدرها حديث النفس، لقول الرسول صلَّى الله عليه وسلم :"الرؤيا ثلاث: ... ومنها ما يَهم

الرجلُ في يقظته، فيراه في منامه"[١٧]. وقد أعرب عن هذا المعنى الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) بقوله :"فهكذا النفوس، إذا توفِّيَت عندَ المنام إنَّما تجول وتسرَحُ على مقادير طباعها، وما كانت عليه في يقظتها"[١٨]. كما أكَّده ابن خلدون بقوله :"إنما تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللمحة في النوم"[١٩].

وقد عرض الفقيه المغربي المازري (ت٥٣٦هـ/١١٤١م) كلام أهل الطب وبعض آراء الفلاسفة في حقيقة الرؤيا، ثمَّ ذكر أنَّ الصواب أنَّ لله تعالى ملكًا يعرض المرئيَّات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صورا محسوسة؛ فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون أمثلة لمعاني معقولة غير محسوسة، وتارة تكون مبشرة، وتارة تكون منذرة [٢٠].

وبصفة عامة؛ فالرؤيا الصالحة حقٌّ يراه المؤمن للتبشير وربما للتحذير، ولها شروط وآداب للتعامل معها، ومن هذا المنطلق فلا ينبغي التعامل معها على أنها وحي لا يقبل الشك[٢١].

ثانيًا: معبرو الرؤى والمنامات في المغرب:

وُجِدَ معبرو الرؤى والمنامات في المغرب إبَّان فترة الدراسة، وكان عدد منهم يجتمع في مسجد إبراهيم بن المضاء[٢٢] (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) المعروف بمسجد الخميس[٢٣] بمدينة سوسة[٢٤]، وقد تعدَّدت الإشارات في كتب التراجم المغربية عن وجودهم وشهرتهم بين الناس، سواء أكان ذلك بنسبتهم إلى المدينة التي ينتسبون إليها[٢٥]. أم بالاكتفاء ببعض العبارات والألفاظ الدَّالة عليهم، ومنها:

(بعض المعبرين) [٢٦]، و(بعض أهل العلم بالرؤيا) [٢٧]، و(عابر) [٢٨]، و(معبِّر)[٢٩]. أم بتحديد أسمائهم والنص عليها، كما حدث مع هؤلاء:

– عنبسة بن خارجة[٣٠] (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م) الذي جاء في ترجمته أنَّه "كان عالمًا بالعربية وعبارة الرؤيا"[٣١].

– أسد بن الفرات[٣٢] (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) الذي كان من العالمين بعبارة رؤى المنام. ويظهرُ أنَّ المعاصرين له عرفوا له ذلك، مصداق ذلك قولُ الفقيه أبي سِنَان الأَسَدِي[٣٣] (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م) :"رأيت عبد الرحمن بن القاسم مكفنًا في النوم، فرفعته في حجري فرجع فيه الروح، فأخبرت بذلك أسد بن الفرات، فقال: سترجع إلى علمه"[٣٤].

– ابن عِيَّاض المعلِّم[٣٥] (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م) الذي جاء في ترجمته أنَّه "كان يُحْسِنُ تعبير الرّؤيا"[٣٦]، وأنَّه "كان ثقة عالمًا بعبارة الرُّؤْيا"[٣٧].

– أبو شيخ المفسِّر [٣٨] الذي كان معاصرًا للفقيه سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، وكان سحنون يعظِّمُه، وفي ذلك يقول المالكي :"كان سحنون يعظِّم أبا شيخ هذا، ويستفتيه عن عبارة الرؤيا لما تحقَّق عنده من علمه بها"[٣٩].

وقد عُرِفَ هذا الرجل بين الناس بأبي شيخ المفسِّر؛ لأنَّه كان معبِّرًا لرؤى المنام وعالمًا بتفسيرها، يؤكِّد ذلك أبو العرب تميم بقوله :"وإنَّما قِيل له المُفَسِّر؛ لأنَّه كان عالمًا بتفسير الرّؤيا"[٤٠]، وهو ما يعطي دلالة على أنَّ معبري رؤى المنام في المغرب كانوا يُعرفون أيضًا بين الناس بالمفسِّرين.

– أبو زكريا الحَفْرِي[٤١] الذي كان معروفًا بين أهل مدينة القيروان بالمغرب الأدنى بمعرفته بتفسير الرؤى خلال القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، فقد

ذكر المالكي أنَّ رجلًا رأى رؤيا غريبة في منامه بمدينة طرابلس، فرحل إلى القيروان، وكلُّ همِّه السؤال عن تفسيرها، فدلَّه الناس على أبي زكريا الحفري هذا، فذهب إليه، وقصَّها عليه، ففسَّرَها له[٤٢]، وهو ما يدلُّ على أنَّ البعض كان يرتحل من مدينة إلى أخرى بحثًا عن المعبرين المشهورين بتعبير الرؤى، وخاصة عندما يتعلَّق الأمر برؤية مزعجة.

– إبراهيم بن محمد القَصْرِي[٤٣] (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) الذي نصَّت ترجمتُه على أنَّه "كان حسنَ العبارة بالرؤيا"[٤٤].

– أبو علي المَكْفُوف[٤٥] (ت٣٤٢هـ/٩٥٣م) الذي كان من العرفاء بتعبير الرؤيا خلال العصر الفاطمي[٤٦] (٢٩٦-٣٦٢هـ/٩٠٩-٩٧٢م)، فقد ترجم له المالكي قائلًا :"وكان يُحْسِنُ التعبير"[٤٧]. ووصفَه الدباغ بقوله :"وكان حَسَنَ التعبير للرُّؤْيا"، ثمَّ أكَّد هذا الوصفَ في موضع آخر، فقال :"وكان حسن التعبير"[٤٨].

– الكَرْمَاني[٤٩] الذي كان مشهورًا بتعبير رؤى المنام بالمغرب خلال القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي). وقد اعترف له الفقيه الكبير ابن أبي زيد القيرواني[٥٠] (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م) المعاصر له بأنَّه ثقة في علم تعبير الرؤى، وهو ما ظهر في إجابته على سؤال البعض له :هل الكرماني مالكٌ في علم تفسير الرؤى؟ حيث قال :"هو مالك في علمه، أو كأنَّه مالك في علمه"[٥١].

– مسرَّة الحَضْرَمِي[٥٢] (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م) الذي ترجم له صاحب (ترتيب المدارك) فذكر أنَّه كان له علمٌ بتعبير رؤى المنام[٥٣].

– أبو إسحاق الجُبْنِيَاني[٥٤] (ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م) الذي "كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، عالمًا بعبارة الرّؤيا"[٥٥].

– ابن حسين المفسِّر [٥٦] المتوفَّى في بدايات القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، والذي نصَّت ترجمتُه على أنَّه كان من المفسرين لرؤى المنام[٥٧].

– المهدي الخطيب[٥٨] الذي كان خطيبًا بالمسجد الجامع بمدينة فاس بالمغرب الأقصى، وعارفًا بتفسير رؤى المنام خلال القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)[٥٩].

هذا؛ وقد أعربت تراجم هؤلاء المعبرين عن التكوين العلمي لهم، فأوضحت أنهم كانوا من أهل العلم والدين ومن الصلحاء والعبَّاد، مما يشير إلى أنهم قد توفَّر فيهم أهم الشروط الواجب توافرها في المعبِّر، والتي تتمثَّل في أنْ يكون صاحب دين وعلم وصيانة [٦٠]، فقد كان المعبِّرُ عنبسة بن خارجة (ت٢١٠هـ/٨٢٥م) "مستجابًا، عالمًا باختلاف العلماء واتفاقهم، أكثر اعتماده على مذهب مالك"[٦١]. في حين كان المعبِّر ابن عِيَّاض (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م) صالحًا، ومعلمًا ثقةً، سمع من البهلول بن راشد وغيرِه، واتَّصفَ بالزهد، فقد رُوِيَ أنَّه "أقام خمس عشرة سنة يشتهي التمر، فاشتُريَ له منه رطل. فلما مرض قال لهم: انظروا التمر في الطاق فتصدقوا به، ومات ولم يأكله" [٦٢]. بينما كان المعبِّرُ إبراهيم بن محمد القصري (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) مُؤَدِّبًا صالحًا، رُوي عنه أنَّه قال:" رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ستين مرة"[٦٣]، ولا شكَّ أنَّ ذلك يعطي دلالة على صلاحه؛ "لأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم لا يأتي إلَّا للصالحين من الناس، ورؤياه صدق؛ لأنَّ الشيطان لا يتمثَّل به"[٦٤]. أمَّا المعبِّرُ أبو علي المكفوف (ت٣٤٢هـ/٩٥٣م)، فكان فقيهًا، مُؤَدِّبًا، كثيرَ العبادة[٦٥].

ومن هنا يمكن القول: إنَّ هؤلاء المعبرين –ومَنْ انضمَّ إليهم مِمَّن حاولوا تعبير رؤاهم بأنفسهم– اعتمدوا في تعبيرهم للرؤى والمنامات على ثقافتهم الدينيَّة التي تعتمد على تداعي بعض المصطلحات والألفاظ التي تضمنتها الرؤيا، فعندما رأى يحيى بن عمر[٦٦] (ت٢٨٩هـ/٩٠٢م) في منامه كأنَّ الفقيه سحنون معلم صبيان بيده درّة، فأعطاها له قائلًا: قُمْ على الصبيان؛ أوَّل ذلك بأنَّه سيخلف سحنونًا في تعليم الناس[٦٧]. كما أنَّ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) عندما رأى في منامه كأنَّه على المنبر يتقلَّد سيف القاضي النعمان[٦٨] (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)، أخذ يفكِّر في تأويل ذلك بعد أنْ استيقظَ، حتى أوَّله ببقاء القاضي النعمان في خدمته دومًا[٦٩].

ولأنَّ هؤلاء المعبرين كانوا يعتمدون في تأويلهم للرؤى والمنامات على مبدأ تداعي الألفاظ والمصطلحات التي وردت بالمنام، مع إعمال الاجتهاد والتخمين في بعض الأحيان؛ فإنَّ تأويلهم كان يجانبه الصواب في بعض الأحيان، وهو ما حدث مع ابن مسكين [٧٠] (ت٢٩٥هـ/٩٠٥م) الذي قال :"لمَّا مات سحنون اغتممت لموته، فرأيته في نومي كأنه خلع من عنقه شيئًا، كان متقلدًا به، فقلدني إياه، فقلت: كان سحنون رجلًا صالحًا والله لأقفون أثره، وتأولته العلم. فبعد أربعين سنة خرجت رؤياي، فابتليت بالقضاء"[٧١]. معنى ذلك أنَّ تأويل الشيء الذي خلعه سحنون من عنقه وقلَّده إيَّاه كان تولِّي القضاء وليس العلم. هذا فضلًا عن أنَّ ظهور تأويل الرؤيا قد يأتي بعد زمن طويل.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض المعبرين كانوا على علم بتعبير الرؤى والمنامات، غير أنَّهم كانوا يرفضون التصدي لتعبير رؤى الناس، وهو ما ينطبق

على حالة أبي إسحاق الجُبْنِيَاني (ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م) الذي جاء في ترجمته أنَّه "كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، عالمًا بعبارة الرّؤيا، ولا يُفْتِي فيها"(٧٢).

من حصيلة ما سبق يتأكَّد وجودُ معبري رؤى المنام في المغرب إبَّان الفترة المدروسة، وأنَّ معظمهم كان يوجد في المغرب الأدنى. ولعلَّ تفسير ذلك أنَّ المعبرين كانوا جزءًا من جملة الفقهاء والعلماء الذين عجَّ بهم المغرب الأدنى، والذين اتجهت إليهم أنظار المغاربة في شتَّى أقاليم المغرب؛ لأخذ العلم عنهم، وسؤالهم عن مختلف القضايا، بما فيها تفسير الرؤى والمنامات.

ثالثًا: الاهتمام بمعرفة تعبير الرؤى والمنامات في المغرب:

اعتاد بعضُ المغاربة الذَّهابَ إلى معبري الرؤى والمنامات لسؤالهم عن تفسير رؤاهم ومناماتهم، مثلما فعل الرجل الذي كان يعيش في مدينة طرابلس خلال القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، والذي قال :"ذهبتُ أسألُ عن تأويل رؤياي"(٧٣)، وهو الأمرُ الذي يُعطي دلالةً على انشغال إنسان المغرب برؤى منامه وسعيه في معرفة تعبيرها، يؤكِّد ذلك الفقيه أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) بقوله :"رأت أمي كأنَّ حشيشًا نبت على ظهري ترعاه البهائم، فعبرت رؤياها عند معبِّرٍ، فقال: سوف يكون عند هذا الغلام علم يُحمل عنه"(٧٤).

وذكر عِياض أنَّ والد موسى بن معاوية الصُّمَادِحِي(٧٥) (ت٢٢١هـ/٨٣٥م) كان رجلًا صالحًا، فرأى في منامه كأنَّه أتى المسجد الجامع بمدينة القيروان، فبال في محرابه، فقصَّ رؤياه على مُعَبِّر، فقال له: يخرج من صلبك ولد يكون إمامًا"(٧٦).

ونقل الدبَّاغُ قولَ أحمد بن أبي سليمان[٧٧] (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) :"رأيت في شأن سحنون قبل موته رؤيا فقصصتُها على مُعَبِّرٍ يُقال له ابن عِيَّاض"[٧٨].

وهناك إشارة عن رجلٍ من سكَّان مدينة طرابلس رأى في نومه كأنَّه واقف وسط ماء، وكلما شرب منه شربَ دمًا، فاستيقظ مشغولًا برؤياه، فراح يسأل بعض معبري المدينة عن تأويلها [٧٩]، وآخر من سكَّان مدينة سوسة رأى رؤيا، فراح يسأل عنها بعض المعبرين[٨٠].

ورأى رجلٌ من أهل مدينة فاس بالمغرب الأقصى في المنام كأنَّ السماء والأرض يبكيان، وذلك أثناء عودته من الحج إلى مدينة فاس، فسأل بعض مفسري الرؤى عن ذلك، فأخبره أنَّ تفسيرها يشير إلى أنَّ فقيها مشهورًا من بلده توفي، فعندما وصل إلى مدينة فاس علم أنَّ الفقيه درَّاس بن إسماعيل[٨١] (ت٣٥٨هـ/٩٦٨م) قد توفِّي [٨٢].

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه هنا أنَّ سؤال المعبرين عن تفسير رؤى المنام لم يقمْ به عوامُ الناس فقط، بل شاركهم في ذلك العلماءُ والفقهاءُ والعُبَّاد أيضًا[٨٣]، فقد جاء في ترجمة الفقيه العالم ابن عَبْدُوس[٨٤] (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) أنَّه "رأى في منامه أَنَّه يُقَال له: مَضَضْتَ؟ فاستوى قائما، وسأل بعض أهل العلم بالرؤيا، فقال له: مَضَضْتَ عن العمل"[٨٥]. كما جاء في ترجمة العالم الأديب ربيع القطَّان[٨٦] (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) ما نصُّه :"وكان أبوه، رحمه الله تعالى، من أهل العبادة. وكان رأى رؤيا، فقصَّها على عابر، فقال له: تتزوَّج امرأة تطابقُ حالك، ويخرجُ من بينكما أولاد علماء"[٨٧]. وَحَدَثَ أنْ رأى الفقيه ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م) في المنام بابَ داره قد سقط، فسأل المعبِّر الكَرْمَاني عن تفسير هذه الرؤيا، فأوَّلَها بأنَّ صاحب الدار سيموت[٨٨].

ويظهر أنَّ بعضَ الحكَّام قد شاركوا العوام والعلماء والفقهاء والعُبَّاد في الانشغال برؤى المنام وسؤال المعبرين عن تفسيرها؛ فلدينا إشارة تفيد أنَّ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) لجأ إلى المنجمين ومعبري الرؤى لمعرفة تفسير رؤيا مناميَّة رآها في الليل، وذلك بعد أنْ قرَّر أنْ يبني قصر البحر بمدينة المنصوريَّة[٨٩] بعدّة أشهر، حيث رأى في المنام بطليموس الفلكي[٩٠] الذي نصحه بتقديم موعد الشروع في البناء عن الموعد الذي كان قد حدَّدَه، وأخبره أنَّ يوم الثلاثاء الآتي هو الموعد المناسب للبناء[٩١].

وبالإضافة إلى حرص البعض على سؤال المعبرين والمفسرين عن رؤى منامهم؛ كان هناك من يلجأُ إلى النَّظر في كتب تعبير رؤى المنام بهدف تفسير رؤيا تخصُّه أو تخصُّ قريبًا له، مثلما فعل بعضُ أقرباء عبدالغفور الأيلاني[٩٢] (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) عندما أخبرَهم أحدُ أتباعِه أنَّه رأى في النوم بعيرًا بَرَكَ عند باب دار عبد الغفور، فركبه عبدالغفور وتوجَّه به إلى مدينة أغمات[٩٣] بالمغرب الأقصى، فقاموا بالنظر في كتب التعبير، فوجدوا فيها أنَّ تأويل هذه الرؤيا يكمن في أنَّ عبدالغفور سيسافر سفرًا بعيدًا[٩٤].

وقد يكون المقصود بكتب التعبير في الخبر السابق هو المختصر الذي ألَّفه عبدالرحمن الأنصاري[٩٥] (ت٥٢٣هـ/١١٢٨م) في "أصول عبارة الرؤيا"[٩٦]. كما يمكن الاستئناس هنا بقول أحد الباحثين :"وتعتبر القوانين التي نقلت عن محمد ابن سرين هي المرجع الأساسي في المغرب حتى نهاية عصر بني مرين"[٩٧].

وبالإضافة إلى ذلك، فقد عوَّل البعضُ في الوقوف على تأويل ما يراه في المنام على مجريات الأحداث اللاحقة، يقول ابن أبي سليمان (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)

:"رأيتُ في منامي كأنَّ صحن مسجدي امتلأ زبلًا، ورجلان في ناحية منه يتحدثان باليهوديَّة، فلمَّا أصبحت جاء رجل فأخذ مفتاح المسجد فأذَّن، فقمت فخرجت إلى المسجد فإذا صحنه مُلِئَ بناس متبيضين، فلمَّا صلُّوا أتوا إليَّ فقالوا لي: نحن الصيارفة أمرنا عبدالله بن أحمد بن طالب (القاضي) ألَّا نصرف من أحد حتَّى ننظر في كتاب الصَّرف، فقرأته لهم، وعلمت أنَّ ذلك تأويل الرؤيا"[٩٨].

وهكذا؛ دلَّت الإشارات السابقة على اهتمامُ المغاربة بمعرفة تعبير رؤاهم ومناماتهم، سواء تعلَّق ذلك بعوام الناس أم بالعلماء والفقهاء والعُبَّاد أم ببعض الحكَّام، وهو ما كان يتمُّ بسؤال المعبرين والمفسرين عنها، بالإضافة إلى اللجوء إلى النظر في كتب التعبير في بعض الأحيان.

رابعًا: الرؤى المناميَّة والسياسة:

تعدَّدت مظاهر ارتباط الرؤى والمنامات في المغرب إبَّان فترة الدراسة بالأحداث السياسيَّة، وعلى رأسها الثورات والفتن والمعارك الكبرى؛ حيث كان لشعور الحكَّام بأخطار الثورات والوقائع الكبرى وكثرة تفكيرهم فيها انعكاسٌ في مناماتهم وأحلامهم، وأصدق مثال على ذلك أنَّ الفاطميِّين كانوا يطوعون ما يرونه من منامات كي يتطابق مع الواقع الذي يريدونه بغرض بثِّ الثقة في نفوسهم وفي نفوس أتباعهم في أنهم قادرون على القضاء على الثورات الكبرى التي هدَّدت ملكهم، وعلى رأسها ثورة أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد المعروف بصاحب الحمار[٩٩] التي هدَّدت ملك الفاطميين بالمغرب، وكادت أنْ تقضي عليه، الأمر الذي كان له صداه في رؤى ومنامات بعض حكَّامهم، فقد رأى الخليفة الفاطمي الثالث المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) رؤيا تفيد بانفراج شدِّةِ هذه الثورة

على يديه بعدما تعذَّر على والده الخليفة الثاني القائم (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٦م) القضاء عليها، وأنَّه سَيُخْرِجُ أبا يزيد من كلِّ أرضٍ سَيْطَرَ عليها، وكان قد سيطر بالفعل على مناطق شاسعة من مملكة الفاطميين، فاستبشرَ بذلك المنصور، وتعامل مع الرؤيا على أنَّها حقيقة واقعة(١٠٠). وبناءً على ذلك عزم على قتال أبي يزيد ومدافعته، فأعطى جنوده، وحشد حشوده، وخرج إليه في عساكره، فانتهى الأمر بهزيمة أبي يزيد وقتله سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) (١٠١).

وفي سياقٍ آخر فسَّر الخليفة الفاطمي الرابع المعز (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) رؤيا مناميَّة بانتهاء أمر الثائر أحمد بن بكر(١٠٢) بمدينة فاس بالمغرب الأقصى بالموت، وذلك بعدما رآه في منامه وكأنَّه أُتِيَ به، فأمر المعز بقتله، فاستيقظ المعز من نومه وهو واثق من أنَّه سيفتح مدينة فاس ويَقْدِرُ على هذا الثائر ويقتله، الأمر الذي بثَّ في نفسه الثقة ورفع من روحه المعنويَّة، فلم يكن بين الليلة التي تمَّت فيها هذه الرؤيا وبين اليوم الذي فتح فيه الفاطميون المدينة وتغلبوا على الثائر المذكور إلَّا أقل من عشَرة أيام(١٠٣).

كما رأى المعز أيضًا في منامه في إحدى الليالي وكأنَّه وقف على باب حصن، قِيل إنَّ الثائر حَمِيد بن يصل(١٠٤) فيه، فدعاه، فخرج إليه في حال رثَّة خَسِيسَة حتى وقف من وراء باب الحصن، وقد فُتِح بعضُه، فأخذ المعز بمجامع أثوابه وهزَّه إليه هَزَّةً منكرة فأخرجَه، فسمع صُراخ النساء داخل الحصن وعويلَهُنَّ عليه، وهنَّ يقلْنَ: "أخذه والله مولانا". وبناء على هذه الرؤيا تنبَّأ المعز بموت حَمِيد في القريب العاجل (١٠٥).

هذا؛ وقد استخدمت رؤى المنام في المغرب كأداة من أدوات التنبؤ السياسي، فقد كانت أداةً للتنبؤ بقيام مُلْكِ الفاطميين فيه، فعندما وصل عُبَيْد الله المهدي

(مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب) إلى مدينة سِجِلماسة بالمغرب الأقصى، سكن في عاليةِ دارٍ منها، وسكن صاحب الدار في سفلاها، فرأى الرجل في نومه ذات ليلة ثعبانًا عظيمًا مضطجعًا في الدار، فانتبه مرعوبًا، فلما أصبح طلع إلى عُبَيْدالله، وقد رآه قبل ذلك يقرأ كتابًا وينظر فيه، فقصَّ عليه الرؤيا، ولم يخبره بمن رآها، فقال له عبيدالله: إنْ كانت الرؤيا صادقة، فالثعبان العظيم يملك المغرب والمشرق. فلما سمع الرجل ذلك قال: أنا صاحب الرؤيا، وقد رأيتُ في منامي ثعبانًا عظيمًا، وليس معي في الدار أحدٌ غيره، فأنت ذاك. فزاده ذلك حرصًا في حاجته وتعظيمًا له(١٠٦).

وكما كانت رؤى المنام أداة للتنبؤ السياسي بقيام ملك الفاطميين في المغرب، كانت أيضًا أداة للتنبؤ السياسي بتحقيق بعض المشاريع السياسيَّة الكبرى لهم، وعلى رأسها المشروع الانتقالي الفاطمي الكبير إلى مصر الذي طالما سعى إليه الفاطميُّون منذ عصر الخليفة الأول المهدي الفاطمي(١٠٧)، وهو ما حدث من قِبَل الخليفة الفاطمي الرابع المعز الذي فسَّر حلمًا رآه في المنام بأن حلم آبائه الفاطميين بالانتقال إلى مصر سيتحقق على يده، فقد رأى في منامه – وكان المنجمون يقولون إنَّه سيموت قريبًا زاعمين أنَّ النجوم دلَّت على ذلك– بعضَ عبيدِه قد وقف بين يديه، وأخذ يحثُّه على الخروج إلى المشرق، ويصف له ضعفَ أهلِه، والمعزُّ يسوِّفُ ذلك، والرجل يحثُّه عليه، وهو يقول له: إنَّا لا بدَّ أنْ ندركَ ما قضاه الله، وقدَّر أنْ يجريَه لنا من فضله، ويجعله على أيدينا ممَّا تقدَّم لنا من وعده، طالت الأيام بنا أم قصرت. ثمَّ رأى في نومه كأنَّه اجتمع مع أبيه المنصور، فسأله المنصور عن الحوار الذي دار بينه وبين الرجل، فأخبره به،

فقال له المنصور :"بل يجعل الله لك مِنْ طول العمر ما تبلغ به أقصى أمنيتك"، فاستيقظ المعزُّ مستبشرًا بتلك الرؤيا التي أوَّلها بأنَّه سيفتح مصر(١٠٨).

ويظهر أنَّه على هذا الأساس أخذ المعز يرتِّب الأمور وينظمها استعدادًا لتحقيق هذا المشروع الانتقالي الكبير قبل تحققه بفترة طويلة، ففي سنة (٣٥٥هـ/٩٩٢م) "أمر المعز بحفر الآبار في طريق مصر، وأنْ يُبنى له في كل منزلة قصر، ففُعِل ذلك"(١٠٩). وعلى هذا النحو استمرَّت الترتيبات قائمة إلى أنْ أرسل المعز إلى مصر القائد جوهر سنة (٣٥٨هـ/٩٩٥م)، ففتحها، ثم ترك المعز المغرب متجهًا إليها سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) (١١٠).

وبالإضافة إلى ذلك؛ كان للصراع السياسي الذي نشب بين الفاطميين في المغرب والأمويين حكَّام الأندلس على أرض المغرب الأقصى صدى في منامات الخلفاء الفاطميين، وذلك من منطلق أنَّ الفاطميين كانوا يتعاملون مع رؤى المنام على أنَّها حقيقة واقعة. وعلى هذا الأساس كان المعزُّ يدعو الله قبل نومه أنْ يُرِيَه أثناء النَّوم حالَ ومصيرَ عدوِّه اللَّدُود –من وجهة نظره– عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس(١١١)، وفي سبيل تحقيق ذلك كان يَذْكُرُهُ في كثير من الليالي بينه وبين نفسه، ويطيل فيه التفكير؛ حتَّى يساعدَه ذلك على تحقيق رغبته برؤيتِه في المنام، وهو في حالة مزرية. وقد تحقَّق له ذلك على أثرِ ذكرِ عبد الرحمن عنده يومًا، حيث أخذ في ذكرِه عدَّة ليالٍ، وأطال فيه التفكير، إلى أنْ همَّ إلى مضجعه، فقضى حقَّ الله عليه من الصلوات، وسأله أنْ يُرِيَه حال عبدالرحمن ومصيره في منامه، ثمَّ نام، فرآه، وهو بين يديه في مقام خِزْيَة، ويدُه مغلولة إلى

عُنُقِه، لا يقدر على ضُرٍّ أو نفعٍ، ثمَّ استيقظ المعزُّ، فخرَّ لله ساجدًا على هذه الرؤيا لثقتِه بأنَّ ما رآه فيها سيتحقَّق(١١٢).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ إجراءات المعز لاستدعاء غريمه الأموي عبرَ رؤية منامية، كذكرِه وإطالة التفكير فيه في حال اليقظة، تندرج تحت النوع الثالث من أنواع رؤى المنام التي تحدثنا عنها آنفًا عند الحديث عن أقسام الرؤيا، وهو نوع (رؤيا الهمَّة). ويظهر أنَّ فعل المعز هذا كان نابعًا من إيمانه بأنَّ جزءًا كبيرًا من رؤى المنام يكون انعكاسًا لما يسيطرُ على ذهن الإنسان حال يقظته، وهو الأمر الذي أعرب عنه في قوله للقاضي النعمان (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م) :"فهكذا النفوس، إذا توفِّيَت عندَ المنام إنَّما تجول وتسرَحُ على مقادير طباعها، وما كانت عليه في يقظتها"(١١٣).

وقد أشار ابن خلدون إلى هذا النوع من الرؤى المنامية حينما قال :"وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضيات ذكر أسماء تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يُتَشَوَّف إليه، ويسمونها الحالوميَّة .. وقد وقع لي أنا بهذه الأسماء مراء عجيبة واطلعت بها على أمور كنت أتشوف إليها من أحوالي. وليس ذلك بدليل على أنَّ القصد للرؤيا يحدثها، وإنما هذه الحالومات تحدث استعدادًا في النفس لوقوع الرؤيا، فإذا قوى الاستعداد كان أقرب إلى حصول ما يُسْتَعدّ له"(١١٤).

هذا؛ وكان من الآثار السياسيَّة للرؤى والمنامات أيضًا صرف النظر عن إتمام فعاليَّات ولاية العهد من قِبَلِ بعض الحكَّام، فقد توقَّف الخليفة الفاطمي المنصور عن أخذ العهد لابنة المعز من بعده، فقد ذكر صاحب (المجالس والمسايرات) أنَّ المنصور الفاطمي مرض بمدينة تَاهَرْت(١١٥) مرضًا شديدًا حتى

يئس من الحياة وأيقنَ أنَّه الموت، فاستعدَّ لتعيين من يخلفه في الحكم وأخذ الوصيَّة له بذلك، فأرسل في طلب جماعة من أوليائه ليشهدهم على عهده لابنه المعز، فبعد أنْ مضى الرسول نامَ المنصور، فرأى في منامه مَنْ بشَّرَه بالعافية من المرض، ثمَّ انتبه، والرسول قائم بصحبة الأولياء المطلوبين، فقصَّ لهم ما رآه، وتوقَّف عمَّا أراد أنْ يفعلَه من أمرِ الوصيّة لابنه ثقةً منه بتلك الرؤيا التي عرف من أحداثها أنَّه سيفيق من مرضه ولن يموت منه، وهو ما حدث بالفعل حيث قال :"فوالله ما أمسيتُ يومئذ إلَّا مفيقًا معافًى"(١١٦).

وقد ربط المعز حادثًا –وقع له مع سَبْع اقتحم باب قفص كان بين يديه أثناء وقوفه في مكان انتوى أنْ يقيم فيه قصرًا له، وكاد أن يخرج إليه في ظلِّ غياب عبيده وحرَّاسه، لكَّن الله سلَّمه– برؤيا مناميَّة، رأى فيها أنَّه كان واقفًا في هذا الموقع، وعبيدُه على بُعْدٍ منه(١١٧).

ولعلَّه من المفيد هنا التأكيد على أنَّ الفاطميين ودعاتهم كانوا ينظرون إلى رؤى الخلفاء على أنَّها برهان عظيمٌ لأمور واقعة بالفعل، وهو أمرٌ انفرد به الخلفاء الفاطميون –حسب زعم دعاتهم– دون غيرهم مِمَّن يرون في منامهم التخليطَ والأضغاثَ. وقد عبَّر عن هذا المعنى القاضي النعمان حينما قال :"إنَّ في رؤيا أمير المؤمنين برهانًا عظيمًا، وقلَّ مَنْ يرى في منامه إلَّا التخليطَ والأضغاثَ"(١١٨).

ويظهرُ أنَّ منامًا كان وراء تغيير القائد جوهر لسياسته التي انتهجها في دخول مدينة فاس، الأمر الذي جعله يتمكَّن من فتحها في النهاية، وذلك حينما أرسله الخليفة المعز لدين الله الفاطمي على رأس حملة عسكرية كبيرة لإخضاع المغرب الأقصى سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م)، فقد حُكِيَ أنَّ القائد جوهر لمَّا حاصرَ

مدينة فاس أقام عليها مدَّة طويلة دونَ أنْ يتمكَّنَ من فتحها، فساءه ذلك، فرأى في المنام قائلًا يقول له: لن تقدرَ على دخول هذه المدينة عَنْوَةً أبدا، ولو أقمت عليها أعوامًا[١١٩]. ثمَّ تذكر المصادر أنَّه تمكن من فتحها بعد ذلك[١٢٠].

ولا نعدم إشارات تفيد بأنَّ الرؤى والمنامات كان لها تأثير كبير في الأحداث السياسيَّة الكبرى خلال عصر الزيريين (٣٦٢-٥٤٣هـ/٩٧٢-١١٤٨م)، وهو ما ظهر بوضوح في الحدث الأعظم في تاريخهم بالمغرب، وهو حدث قطع الدعوة العبيدية الشيعيَّة وإظهار الدعوة العباسيَّة الذي قام به المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٥-١٠٦١م)، حيث تفيد بعض الروايات التاريخيَّة أنَّ الجانب الأكبر فيه قام على مجموعة رؤى مناميَّة، رآها المعز، فتمَّ تأويلُها بضرورة قطع دعوة الشيعة العبيديين والتوقف عن طاعتهم والتحول إلى طاعة العباسيين، يؤكِّد ذلك ابن عذاري بقوله :" وحُكِيَ في قَتْل الروافض حكاياتٌ كثيرةٌ مِمَّا رآه المُعز في منامه، وتأويلُ ذلك وغيره أَلْغَيْنَا هنا عن ذكره خوفَ التطويل. ولم يزل المعز يُعمل فكرِه في قطع الدعوة لهم إلى أنْ كانت سنة أربعين وأربع مئة"[١٢١].

وفي العصر الموحدي (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م) نجد الخليفة أبا يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) يعوِّل على رؤيا مناميَّة قبل وقوع معركة الأرك[١٢٢] بفترة قصيرة في بثِّ الثقة في أتباعه بأنَّ قوَّات الموحدين ستنتصر على قوَّات ملك قشتالة (ألفنسوا الثامن)، ففي ذات ليلة، وبالتحديد عند السحر، "غلبته عيناه فنام في مصلاه قليلًا، ثمَّ انتبه فرحا مستبشرًا، فبعث إلى أشياخ الموحدين والفقهاء فدخلوا عليه، فقال لهم: إنما بعثت لكم في هذا الوقت لأبشركم بما بُشِّرْتُ به من نصر الله تعالى في نومي في هذه الساعة، بينما أنا راكع في مصلاي إذ غلبتني عيناي، فرأيتُ في نومي كأنَّ بابًا

قد فُتح في السماء، ونزل منه فارس على فرس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها، فسلَّم عليَّ، فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا ملك من ملائكة السماء السابعة، جئتك لأبشرك بالفتح من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهدين"(١٢٣).

هذا؛ وقد لجأ المغاربة إلى الرؤى والمنامات في أوقات الخطر وانعدام الأمن وسيطرة الخوف من وقوع الظلم على الأنفس والأموال من جرَّاء تصاعد حدة الصراع المسلَّح بين الحكَّام والثائرين. ولعلَّ من مظاهر ذلك في العصر الأغلبي (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) أنَّ بعضَ الناس كانوا يأمنون بعد خوفٍ عندما يخبرهم رجل صالح ثقة أنَّه رأى رؤيا مُطَمْئِنَةً لهم، مثلما حدث مع الرجل الذي خرج خائفًا على أمواله في آخر الليل، ومعه دنانيره، حتى أتى دار أبي محمد الأنصاري(١٢٤) (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، وطلب منه أنْ يُبْقِيَ دنايرَه عنده؛ لأنه خائف من الأمير زيادة الله بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٧-٨٣٧م) أنْ ينهب مدينة القيروان بعد أنْ رحل عنها منصور الطُّنْبُذِي الثائر(١٢٥)، فقال له أبو محمد :"خذ دنانيرك معك"، فقال له الرجل :"أصلحك الله، إني أخاف"، فقال له أبو محمد :"لا تخف". ثمَّ ذكر له أنَّه رأى في نومه رجلًا راكبًا على فرس أخضر وعليه ثياب خضر وبيده لواء أخضر، فأخبره بأنَّ الله سبحانه تعالى بعثه لأهل القيروان بالأمان". فاطمأنَّ الرجل بعد خوفٍ، وهو ما ظهر في قوله :"فرددت دنانيري معي، وما راعني شيء"(١٢٦).

وهذا أبو إسحاق السِّبَائي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) يطمئنُّ بعد خوف على أثر رؤيا في المنام، رأى فيها عمر رضي الله عنه، فأمَّنه من بطش الفاطميين الذين منعوا الناس من ذكر الصحابة رضوان الله عليهم في دورهم. وبناءً على هذه

الرؤيا كان أبو إسحاق من القلَّة الذين لم يقطعوا ذكر الصحابة في دورهم دون خوف من عقاب الفاطميين. وقد عوَّل في تفسيره لموقفه هذا على ما رآه في النوم، حيث قال :"رأيتُ عمر بن الخطَّاب في المنام فأمَّنني"(١٢٧).

أمَّا ابن التبان (ت٣٧١هـ/٩٨١م)، فقد أخبره ربُّ العزة في المنام أنَّ المغرب سيكون فيه فتن كَقِطَعِ الليل المظلم، لا ينجو منها إلَّا سوسة والمُنَسْتِير(١٢٨)، وبناءً على هذه الرؤيا تحدَّدَ مذهبُ ابن التبان في النجاة من هذه الفتن؛ حيث كان يترك مدينة القيروان في أوقات الفتن والاضطرابات، ويذهب إلى سوسة أو المنستير(١٢٩).

وهذا أبو الحسن بن حِرِزْهِم(١٣٠) (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م) يعوِّل على رؤيا مناميَّة في الوصول إلى حالة من الأمن وعدم الخوف أثناء الصراع المسلَّح الذي دار بين المرابطين والموحدين على أرض المغرب الأقصى، وهو ما حكاه التميمي قائلًا :"كان الفقيه أبو الحسن يجلس في الجامع من عدوة القرويين، فجاءه محتسبُ البلد فقال له: ما هذا وقتُ جلوسك في الجامع، فإنَّا نخاف عليك. فقال له الفقيه أبو الحسن: لو نزلت نارٌ من السماء لنجوت منها؛ لأنِّي رأيتُ رؤيا أمَّنَتْنِي"(١٣١).

ويُضَافُ إلى ما سبقَ أنَّ بعضَ رؤى المنام قد ألقت الضوء على أحوال المسجونين في بعض السجون المغربية وعدم اكتراث المسئولين عنها بتوفير الحاجات الرئيسة لهم، وذلك من خلال التنويه على أنَّ تقديم المعروف والدعم لهؤلاء المسجونين سيعود بالنفع على صاحبه. ولعلَّ من أمثلة ذلك ما جاء في ترجمة هاشم بن مسرور (١٣٢) (ت٣٠٧هـ/٩١٩م) الذي استجاب لاستغاثة المسجونين في أحد السجون الفاطميَّة به مِمَّا هم فيه من الجوع والضيق وسوء

الحال، فلم يجد ما يمدُّ يدَه إليه إلَّا مِهْرَاسًا[١٣٣] من نحاس كان عنده من تركة أبيه، فباعه بنحو ثلاثة دنانير، واشترى لهم بها قمحًا وعمله خبزًا، ومضى به إلى السجن، وفرقه عليهم، وجعل ثواب ذلك لوالده، فرأى والدَه في المنام في تلك الليلة، وهو يقول له: "يا بني، جزاك الله عنِّي أفضل ما جزى ولدًا عن والده، فقد كان بين يدي عقبات عظيمة، فلقد أعنتني على جواز أعظمها بثمن ذلك المهراس"[١٣٤].

ولدينا إشارة أخرى تفيد بأنَّ رؤى المنام كان لها دورٌ في إطلاق سراح بعض المعتقلين من السجنون خلال عصر الموحدين (٥٤١- ٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م)، فقد ذكر صاحب (عنوان الدراية) في ثنايا ترجمته للشيخ الفقيه عبدالله الحضرمي[١٣٥](ت٦٣٦هـ/١٢٣٩م) أنَّه بعد ليلتين من اعتقاله والزج به في أحد سجون مدينة بجاية بالمغرب الأوسط، رأى المسئول عن السجن النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم في المنام، فأمره أنْ يسرِّحَ الشيخ من معتقَلِه، فعندما استيقظ أثناء الليل بعث إليه الفتيان، فارتاع كلُّ من كان في السجن في ذلك الموضع واستشعروا شرًّا، فتمَّ استدعاء الشيخ من بينهم، وسِيقت له بغلة وكسوة وسُرِّح وأُحْسِنَ إليه[١٣٦].

قصارى القول: إنَّ الإشارات السابقة قد أثبتت أنَّ الأحداث السياسية الكبرى (المتمثِّلة في المعارك والثورات والفتن) كان لها علاقة بالرؤى والمنامات، كما أنَّ هذه الرؤى والمنامات كان لها أثر واضح أيضًا في بعض القضايا والأحداث السياسية المختلفة.

خامسًا: الرؤى المناميَّة والاقتصاد:

إنَّ إلقاء نظرة فاحصة على الرؤى والمنامات إبَّان فترة الدراسة يكشف أنَّ بعضها كان له آثار تتصل بالاقتصاد، فقد تكون مِفْتاحًا لحلِّ أزمة معيشيَّة سيطرت على البعض، وذلك من خلال دورها في لفت نظرِهِ إلى أهميَّةِ الشُّروع في استثمار بعضِ أمواله بشكلٍ يحقِّق النفع الدائم والمستمر، كأنْ يستثمرها مثلًا في الزراعة، وذلك عن طريق شراء أرض زراعيَّة والانتفاع بمحصولها. يقول الحسن بن نصر[١٣٧] (ت ٣٤١هـ/٩٥٢) :"بعتُ ريعًا بتوزر[١٣٨]، فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلًا يقول لي: اجعله في التراب ... فلما جئت إلى مدينة سوسة ضاق عليَّ الحالُ بها؛ إذ ليس بيدي صنعة أتعيَّشُ بها، ولا معرفة بأمور الدنيا والتصرف فيها، فرأيتُ والدي في المنام فقال لي: أين مالك؟ فأتيته، فحفر له في الأرض وجعله فيها وردَّ عليه التراب، فلما أصبحت سألت عنها بعض المعبرين، فقال لي: إنما أمرك أنْ تشتري به أرضًا تنتفع بشجرها وما تحرث فيها، فاشتريت ريعًا بمدينة سوسة، وقرية المريدين ومنزل أبي سعيد"[١٣٩].

وعلى النقيض من ذلك؛ فقد يكون المنام سببًا في أنْ يتراجعَ البعضُ عن قراره الذي اتَّخذه بخصوص زراعة جزء من الأرض الزراعيَّة المملوكة له بالميراث، ومن ذلك أنَّ عبدالرحمن الجراوي غيَّر موقفه من زراعة فدان ورثه عن أبيه (علي بن أحمد الجراوي ت٥٧٢هـ/١١٧٦م) بمدينة تادلا[١٤٠] متأثرًا في ذلك برؤيا مناميَّة، حيث كان أبوه لا يحرث هذا الفدَّان ولا يكريه؛ لأنَّه لا يعرف أصلَ تملُّكِ جَدِّه له. فلمَّا توفي قرَّرَ عبدالرحمن زراعتَه، فأصاب منه قمحًا كثيرًا، فرأى في النوم شخصًا قاعدًا على القمح، وهو يرفع القمح بيده ويرميه، ويذكر قوله

تعالى :"إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنَّما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرا"[١٤١]، وهو يفعل ذلك المرَّةَ بعد المرَّة إلى أنْ رأى عبدالرحمن فقام، وعبدالرحمن يتبعه ببصره حتَّى خرج من الدار. فلمَّا أصبح عبدالرحمن قرَّرَ أنْ يغيِّرَ موقفه من ذلك الفدَّان بناءً على هذه الرؤيا، حيث تصدَّقَ بجميع القمح الذي أصابه منه، وتركه مهملًا كما كان في حياة أبيه، وزاد عن ذلك بأنَّه عندما احتضرَ أوصى أولادَه ألَّا يُدخلوا ذلك الفدَّان في القسمة فيما بينهم، فامتثلوا ما أمرهم به[١٤٢].

وعلى صعيد آخر، قرَّر رجل من سكَّان مدينة فاس خلال القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) الرجوعَ عن حكمٍ كان قد أصدرَه بشأن حالة بعض الفدادين المزروعة في سنة قحط، وذلك بعدما علم من رؤيا مناميَّة أنَّ مثل هذه الأحكام تتعارض مع جهل الإنسان بتدبير الخالق سبحانه وتعالى. يقول هذا الرجل :"مررت يوما مع صاحبي حتَّى صعدنا جبل العَرْض[١٤٣] في سنة قحط، فكنا نطوف على المزارع، وأنا أقول: هذا الفدان فات صلاحُه، وهذا الفدان يصلح إنْ مطر. ثمَّ انصرفنا ودخلنا المدينة (فاس)، فنمت بالليل، فأتاني شخصان. فقال أحدهما للآخر: هذا أحد الرجلين، فأجلسني وضربني بيده في صدري، وقال لي: أمدبِّر غير الله؟ فانتبهت مرعوبًا من منامي ... فلما أصبحت توجهت إلى مكَّة، وكان ذلك سبب توبتي وحجتي"[١٤٤].

وقد قرَّر رجلٌ صالحٌ قضاءَ دَيْنٍ عن أبي الأَحْوَص (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) أنبأته به رؤيا مناميَّة، علم منها أنَّ أبا الأحوص سيلحقه ضررٌ إذا لم يقضِ دينه، فقد ذكر هذا الرجل أنَّه رأى في نومه كأنَّه واقف على باب الجنة، وأبو الأحوص يريد أن يدخلها، ورجل يعرفه من أهل مدينة سوسة يمنعه الدخول،

ويقول له :"لا أدعك تدخل حتى تدفع لي حقي"، فعرضَ عليه أبو الأحوص أنْ يعطيه قصرًا في الجنة، فأبى الرجل، فعرضَ عليه قصرين، فأبى الرجل أيضًا، فقال الرجل الصالح له :"يا هذا، يعطيك قصرين في الجنة فتأبى، وإنما لك عليه درهمان؟". ثمَّ استيقظ الرجل الصالح، وهو يعرف الرجل بوجهه، فذهب إلى الجامع وجلس بين الأبواب لصلاة الصبح، حتَّى دخل الرجل الذي رآه في المنام، فأشار إليه أنْ يأتي إليه فأتاه، فقال له :"يا أبا فلان، إنَّ أبا الأحوص أوصاني أن أدفع إليك شيئًا، وقد أنسيته، فما لك عليه؟" فقال :"درهمان" فدفع إليه الدرهمين، وأعلمه بالرؤيا التي رآها(١٤٥).

كما قرَّر أبو إسحاق السِّبَائي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) التنازل عن نصيبه في الربح من سلعة لشريكه الذي اشترك معه في التجارة فيها، وذلك بعدما أخبرته رؤيا مناميَّة بأنَّ هذا الشريك في حاجة ماسَّة للربح كلِّه. وإزاء ذلك أمرَه أنْ يأخذَ الربح كلَّه له، فاندهش الشريكُ قائلًا :"هذا أمر ما علمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ"، فردَّ عليه أبو إسحاق قائلًا :"للناس رؤى ومنامات"(١٤٦).

هذا؛ وقد لامست رؤى المنام –في بعض الأحيان– تفكيرَ الإنسان في مسألة زيادة الضرائب على ممتلكاته من قبل الدولة، ومن ذلك أنَّ رؤيا مناميَّة كانت وراء تراجع أحد سكَّان مدينة فاس إبَّان عصر المرابطين (٤٤٨–٥٤١هـ/١٠٥٦– ١١٤٦م) عن حلٍّ رآه مناسبًا لإيقاف قرار عامل البلد بزيادة الضرائب على بعض ممتلكاته، حيث قال في نفسِه :"أُعْلِمُ فُلانًا وفلانًا يكلمون العامل في ذلك". ثمَّ نام، فرأى في منامه رجلين، قال أحدهما للآخر: هذا الذي يلْحَنُ في قراءة (الحَمْد)، فقال لهما: أقرأها عليكما، فقرأها، فقالا له: لحنْتَ. ثمَّ انتبه من نومه، وجعل يفكِّر في الرؤيا، فخطر له أنَّ لحنَه في سورة (الحَمْد)

يرجعُ إلى أنَّه قرَّرَ في يقظته أنْ يستعين بالمخلوق دون الخالق، رغم أنَّه يقرأ كلَّ يوم قولَه تعالى: "إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعين"(١٤٧)، فاستغفر اللهَ من ذلك، وتاب إليه(١٤٨).

سادسًا: الرؤى المناميَّة وبعض مظاهر الحياة الاجتماعيَّة:

كان للرؤى والمنامات أثر في بعض مظاهر الحياة الاجتماعيَّة إبَّان فترة الدراسة، فقد كان لها تأثير –مثلًا– في تشكيل بعض المواقف الاجتماعيَّة الغريبة من قبل البعض، ومنها ما جاء في ترجمة ربيع القطَّان (ت٣٣٤هـ/٩٤٥) من أنَّ والدته جمعت بعضَ شَعْرِ رأسه، وأوصت بدفنه معها، وذلك تبركًا برؤيا مناميَّة، رأى خلالَها ابنُها الحقَّ سبحانه وتعالى، فأمره، فدنا منه، فشرَّف موضعًا منه وعظَّمه ما بين صدغه وأذنه من الجانب الأيسر، "فكانت والدتُه تأمره إذا حَلَقَ أنْ يأخذَ شعرَ ذلك الموضع، فجمعت منه كثيرًا، وأوصت حين موتها أنْ يدفن معها"(١٤٩).

وهناك إشارة تفيد بدور الرؤى المناميَّة في عودة العلاقة بين عبد وسيّده إلى المسار الصحيح، فقد رأى عبدالرحيم بن عبد ربه(١٥٠)(ت٢٤٧هـ/٨٦١م) ليلة من ليالي رمضان في منامه قائلًا يقول له :"كل من بات في هذا القصر مغفور له إلا صاحب التليس". فلمَّا صلَّى عبدالرحيم الصبح ودَّعه الناس وسألوه الدعاء، فتقدَّم إليه صاحب التلّيس ليودعه، فقال له سرًّا :"يا بني، رأى رجل في المنام أن كل من بات في هذا القصر مغفور له إلا صاحب التلّيس، وأخاف أن تكون أنت هو، فعرفْنِي: ما الذي صنعت؟" فقال له :"أنا عبد مملوك أبقتُ من سيدي". فقال له عبدالرحيم :"يا بني، ارجع إلى سيدك، وتب إلى الله تعالى من ذنبك" وانصرف عنه، فتأثَّر العبدُ بالرؤيا بأنْ غيَّرَ موقفه ورجع إلى سيده(١٥١).

وكانت بعض الرؤى المناميَّة وراء اختيار أسماء بعض المواليد، فقد رأى محمد بن سحنون[١٥٢] (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) في منامه أنَّ قراطيس (جاريته) وضعت حملها، وأتت بغلام، فسمَّاه محمدًا، وكنَّاه بكنية أبيه. فلمَّا استيقظ في الصباح كان على يقين بأنَّ ما رآه في منامه سيتحوَّل إلى حقيقة واقعة. وبالفعل ولدت الجارية غلامًا، فسمَّاه محمَّدًا، وكنَّاه بكنية أبيه [١٥٣].

وكان البعضُ يعوِّلُ على ما جاء في رؤى المنام في الكشف عن هويّة مَنْ ارتكب بعض الجرائم، ولعلَّ أصدق مثال على ذلك حالة الفقيه ابن حِرْزِهم (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م) الذي جاءت إليه امرأة من سكَّان مدينة فاس تشكو له أنَّ بيتها سُرِقَ ولم يبقَ لها فيه شيء وأنها لا تعرف من سرقها، فما كان منه إلَّا أنْ طلب منها أنْ تنام الليلة على طهارة بعد صلاة العشاء، فما رأته في النوم أخبرته به غدًا، فقامت بذلك، وجاءته في الصباح وأخبرته بأنها رأت في منامها كأنَّ ديكًا نَقَرَها، ففسَّر ذلك بأنَّ المؤذِّن سرقَها، فبعث إليه، وقال له :"ما معنا ثالث الآدمِيِّن، فَرُدْ متاعَها في خفية وإلَّا كتبتُ للقاضي في أمرك". فاعترف المؤذن بمتاع المرأة وردَّه إليها[١٥٤].

ومن ناحية أخرى، كانت الرؤى المناميَّة قادرة على تغيير تصرفات البعض وطريقة تعاملهم مع الآخرين، ومن ذلك ما حدث مع عبدالرحيم الذي زاره الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) في يوم جمعة، فلم يُقبل عليه عبدالرحيم ولم يرحب به، ثمَّ زاره في الجمعة التي بعدها، فرحَّب به وأقبل عليه، وعندما سأله بعضُ الحاضرين للموقفَيْن عن سبب ذلك التغيُّر أجابه قائلًا :"والله ما أردت بذلك إلَّا الله عز وجل: رأيت اجتماع الناس حوله فخفت عليه الفتنة،

فعملْتُ ما عملْتُ لصلاح حاله ولأجرِّبَه، فرأيتُ في الليلة المقبلة قائلًا يقول لي: مالك لا تقبل على محمد بن سحنون، وهو مِمَّن يخشى الله عز وجل، فعملتُ ما رأيتم"(١٥٥).

كما كان لبعض المنامات دور في حثِّ البعض على زيارة بعض الصالحين، مصداق ذلك قول عَوْن الخُزَاعِي (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م) :"رأيت في منامي كأنَّ قائلًا يقول لي: "زُرْ أبا خلف (الخيَّاط ت٢٤٦هـ/٨٦٠م)، فإنَّه رجل صالح، فأصبحت، فركبت دابة وزرته"(١٥٦). هذا فضلًا عن دور منامات أخرى في حثِّ البعض على إطعام الفقراء والمحتاجين، فقد ذكر صاحب (ترتيب المدارك) أنَّ امرأة رأت في المنام قائلًا يقول لها: أخوك واصل (١٥٧) (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م) جائع، فابعثي إليه بطعام، فعندما استيقظت أرسلت إليه طعامًا مع عبدِها، وحثَّتْهُ على الإسراع في الوصول إليه بأنْ قالت له: "إن وصلت إليه فأنت حر"(١٥٨).

ولدينا بعض الإشارات التي توضِّح أثر الرؤى والمنامات في قيام البعض بتغيير قراره بخصوص السفر للحج، ومن هذه الإشارات إشارةٌ عن ابنٍ (من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) قرَّرَ الرجوعَ عن السفر لأداء فريضة الحج بعدما حجز مركبًا يَبْحُر فيه من مدينة بجاية(١٥٩) إلى مدينة الإسكندرية، وذلك استجابة لرؤيا مناميَّة، رأى خلالها كأنَّ قائلًا يقول له :"هذا المركب الذي عوَّلْتَ على الركوب فيه لا يصلُ إلى الإسكندريَّة؛ يعطبُ. وأنت، ما هذا وقتُ حَجُّك، ما تَحِجُّ حتَّى تُتَوَفَّى والدتُك"(١٦٠). هذا فضلًا عن إشارة أخرى عن امرأة من أهل مدينة فاس بالمغرب الأقصى خلال القرن نفسه وافقت على قرار ابنها بالسفر للحج متأثرةً في ذلك برؤيا مناميَّة، يقول التميمي

(ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م) :"رُوِيَ أنَّه –يقصد ابن المرأة المذكورة– في صغره أراد المسيرَ من فاس لقضاء حِجَّةِ الفريضة، وكانت له والدةٌ، منعتُه من ذلك. فرأَتْ في المنام قائلًا يقول لها: لأيِّ شيءٍ يُمْنَعُ ابنُكِ من المسير للحَجِّ، وقد جاء وقتُ حَجِّه؟ فأذِنَتْ له في ذلك"(١٦١).

وكان من الآثار الاجتماعيَّة للرؤى والمنامات أيضًا أنها كانت سببًا في تراجع بعض الزهاد والمتصوفة عن سكنى المقابر، فقد ذكر الدبَّاغ أنَّ ابن سهل الصوفي(١٦٢) (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) تنسَّك و"اتَّخذَ نوالًا(١٦٣) في المقبرة يأوي إليها، فحفر يومًا حُفرةً كَسَّر فيها ساق ميِّت، فوقفت إليه امرأة في النوم فقالت له: ما كفاك أنْ تكشفنا وتؤذينا بالنَّجاسات حتَّى كسَّرت عظم ساقي، لي معك موقف بين يدي الله تعالى، فاستيقظ مذعورًا، فنقض النوال، ومحى رسمها، ولزم بيته وهو خائف إلى أنْ مات"(١٦٤).

ومِمَّا يجب التنويه عليه هنا علاقة رؤى المنام ببعض الآفات الاجتماعية المتمثلة في الكذب والاحتيال، حيث كان البعضُ على وعي تام بأهميَّة الرؤى الحسنة في حياة الناس ودورها في إدخال السرور عليهم، وبخاصة الحكَّام، الأمر الذي جعلهم يبتدعون رؤى مناميَّة لهم، وذلك في محاولة لتحقيق الاستفادة الماديَّة منهم والحصول على عطاياهم، وهو ما تعرَّضَ له الأمير الأغلبي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٠١–٢٢٣هـ/٨١٧–٨٣٧م) الذي جاءَه رجلٌ يذكر أنَّه رأى رؤيا له، وأصرَّ على قصِّها عليه بنفسه رغم محاولات حاجبه المتكررة بكتابتها عنه ونقلها للأمير، وعندما أذن له الأمير بالدخول وسأله عن رؤياه قال له: "رأيت كأنَّ جبريل هبط من السماء إلى الأرض، ومعه نور حتَّى وقف بين يديك وصافحك". ففرح الأمير بذلك وأوَّله على أنَّه عدلٌ يجريه الله على يديه.

وكان الفقيه القاضي أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) حاضرًا فقال للأمير: "كذب الشيخ أيها الأمير". فغضب الأمير حتَّى رُئي الغضب في وجهه، ثم التفت إلى أبي مُحْرز القاضي كالمحرِّك له على أسد، لما يعلم ما بينهما من خصومة، فقال أبو محرز: "صدق أسد وكذب الرجل"، وأتى بحجة يبين بها كذب الرجل، ثمَّ قال :"أصلح الله الأمير، إنَّ هذا وأمثاله يأتونك بمثل هذا طلبًا لدنياك، فاتقِ الله عزَّ وجل"(١٦٥).

ويظهر أنَّ الأمر لم يقتصر في ذلك على الحكَّام فقط، فلدينا إشارة أخرى عن استغلال رجل محتال لرؤى المنام في الحصول على بعض المكاسب المادية من مُعَلِّم للصبيان مشهور بالزهد والكرم والصلاح في مدينة فاس، وهو المُعَلِّم أبو عبدالله التاوْدِي(١٦٦) (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م) الذي جاءه رجل محتال من المحتاجين، فقال له: "رأيْتُ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في النوم، فقال لي: اذهب إلى أبي عبدالله ومُرْه أنْ يدفعَ لك أثوابه"، فما كان من أبي عبدالله إلَّا أنْ دفعَ له ما عنده من ثياب(١٦٧).

سابعًا: الرؤى المناميَّة وبعض القضايا الدينية والفكرية والعلمية:

كما كان لرؤى المنام دور في إلهام عقبة بن نافع بمكان محراب مسجده بمدينة القيروان التي أسسها خلال الفترة (٥٠-٥٥هـ)(١٦٨)، كان لها أيضًا انعكاسٌ على تفكير المغاربة في القضايا الدينية والفكرية الكبرى وانشغالهم بها، وعلى رأسها قضية خلق القرآن التي أطلَّت برأسها على المجتمع المغربي خلال عصر الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م)، فقد رأى الفقيه الكبير سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) في منامه كأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مات،

واجتمع الناس على دفنه ما خلا سحنون وحده. فأرسل سحنون إلى أبي شَيْخ يسأله عن الرؤيا، وقال للرسول :"لا تخبره أنِّي رأيتها"، واغتمَّ سحنون؛ لأنَّ البدعة بخلق القرآن قد ظهرت، فأتى الرسول أبا شيخ، فسأله عن الرؤيا دون أنْ يذكر له اسم من رآها ، فقال له أبو شيخ: سحنون رأى هذه الرؤيا، فدافعه الرسول عن ذكر سحنون، فلما رأى تماديه على أنَّ سحنون رأى الرؤيا قال له الرسول :"فسِّرها لمن كانت". فقال أبو شيخ :"هذه سُنة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد ماتت واجتمع الناس على دفنها خلا سحنون وحده، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات قبل هذا الوقت بحين، وكانت سنته حيَّة فأميتت في هذا الوقت بالبدعة، وتعاون الناس على دفنها إلا سحنون وحده"(١٦٩).

وكانت الرؤى المناميَّة مبرِّرًا لأنْ يمارسَ بعض الصلحاء بعض البدع المخالفة للشرع، كبدعة التوسُّل بميِّت، وذلك في أوقات انحباس المطر ووقوع المجاعات، فقد رُوِي أنَّ المطرَ احتبس فترةً طويلة عن مدينة القيروان، فقنط أهلها واشتدَّ عليهم الحال، وذلك في سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م) أو (٤١٣هـ/١٠٢٢م)، فرأى رجل صالح في منامه كأنَّ قائلًا يقول له: "استسقوا بهذا البرموس"، فسأله عن هذا البرموس، فقال له: "أبو الحسن القابسي(١٧٠)". فلمَّا أصبح الرجل ذهب إلى قبر أبي الحسن وتَوَسَّل إلى الله به(١٧١)، هذا على الرغم من أنَّ التوسُّل بالأموات يُعَدُّ بدعةً من البدع المخالفة لصحيح الدين(١٧٢).

ومن المثير للانتباه حقًّا أنَّ المغاربة كانوا يثقون في رؤى المنام، ومن ثمَّ يتعاملون معها على أنَّها حقائق واقعة. والغريب في ذلك أنَّ هذا الموقف لم يقتصر على عوام الناس فقط، بل طال العلماء وكبار الفقهاء الذين امتدت ثقتُهم في رؤى المنام إلى بعضِ الأمور التي تتَّصِلُ ببعض العبادات والشعائر الدينيَّة

التي قاموا بها، لا تطبيقًا لسنَّة، وإنما اقتناعًا برؤيا مناميَّة وتنفيذًا لها، وهو ما يكشف عنه موقف الفقيه حمديس القطَّان[١٧٣] (ت٢٨٩هـ/٩٠١م) الذي حكاه المالكي قائلًا :"قال حمديس القطان لصدقة الضرير[١٧٤] (ت ٣٠٤هـ/٩١٦م): عند الله عزَّ وجل كل يوم دعوتان مجابتان. فقيل له: فما علَّمَكَ؟ فقال: أخبرني بعض أهل العلم مِمَّن أثق به أنَّه رأى ذلك في المنام"[١٧٥].

هذا؛ وقد كشفت روايات الرؤى والمنامات عن ارتباطها ببعض المعتقدات الغيبية التي سادت في المجتمع المغربي إبَّان فترة الدراسة، والتي تتمثَّل في الاعتماد عليها من قبل البعض كوسيلة من وسائل التنبؤ بالموت، بحيث يتم تأويلها بموعد الموت واقتراب ساعة الرحيل[١٧٦]، فقد جاء في ترجمة عَوْن الخُزَاعِي (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م) أنَّ امرأة من العابدات معاصرة له، يُقَالُ لها مُونسة المَسُوحِيَة، تنبَّأت بموت شاب اسمه سليمان من أهل مدينة القيروان، بعدما رأت في نومها أنَّه سيقتل غدًا [١٧٧]. وتنبَّأ أكثر من شخص باقتراب أجل الإمام سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) بناءً على رؤى في المنام [١٧٨]. واعتلَّ أبو محمد عبدالله التاهرتي[١٧٩] (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) علةً شديدة حتى يُئِسَ منه، فقال للذي يخدمه: "إني لسْتُ أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها –إن شاء الله تعالى– فإذا كانت المرضة الثانية بعدها توقعوا موتي". وكان ذلك لأنَّه أخبرَ به في منامه[١٨٠]. وحدَّدَ مسرَّة الحَضْرَمي (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م) موعد موته بعد ثلاثة أيام أو ثلاثة شهور أو ثلاث سنين بناءً على رؤيا في المنام رآها رجلٌ يعرفه، مفادُها أنَّه رأى في منامه أبا إسحاق الجُبْنِياني (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) –المتوفى قبل مسرَّة بحوالي ست سنوات– واقفًا، فصاح ثلاث صيحات: يا مسرة، يا مسرة، يا مسرَّة. وعندما علم مسرَّة هذه الرؤيا قال: "أَمَّا ثلاث ساعات فقد ذهبت، وأرانِي

أموت إلى ثلاثة أيام أو ثلاثة شهور أو ثلاث سنين". وبالفعل مات بعد ثلاث سنوات من تاريخ هذه الرؤيا، مصداق ذلك قول أحد الحاضرين للموقف :"فأرخنا الرؤيا فمات لثلاث سنين"(١٨١). وأصبح ابن القابسي (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م) على يقين بموعد موته بعدما أخبرته امرأةٌ أنَّها رأت النبي صلَّى الله عليه وسلم في المنام يقول لها: "اقرئي للشيخ أبي الحسن السلام، وقُلِي له: تأهَّبْ، فإنَّك عندنا ليلة الاثنين"(١٨٢). كما علم ابن يُوغان الصّنهاجي(١٨٣) (ت٥٣٧هـ/١١٤٢م) اقتراب أجله من خلال رؤيا منامية، رأى فيها شيخه المتوفَّى يلومه على هجره له وعدم زيارته، فمات بعد شهرين، ودفنه الناس في روضة هذا الشيخ(١٨٤).

إنَّ هذا التنبؤ بموعد الرحيل المعتمد على الرؤى والمنامات كان له أثره في تصرفات بعض الناس وأفعالهم، ففي حين أفصح البعضُ بما علمه بواسطة بعض المنامات من اقتراب أجله إلى الزوجة وبعض الأقارب (١٨٥)، قام البعض الآخر بجمع أهله ومطالبتهم بالتأهُّب والاستعداد لوصول الناس غدًا لحضور جنازته، وذلك بعدما أخبره منام بأنه سيموت غدا(١٨٦). أمَّا البعضُ الآخر فقد قام بخطوات أكثر عملية، تمثَّلت في شرائه للكفن وحفره للقبر، فقد ذكر ابن الزيَّات أنَّ رجلًا من أهل مدينة سلا بالمغرب الأقصى (ت قبل سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م) رأى في المنام شخصين يحفران قبره، فقام في الصياح واشترى كفنًا، وأخذ يستعد للموت، حيث استدعى صديقه ليساعده في حفر قبرٍ له في الموقع الذي دلتْه عليه الرؤيا(١٨٧).

وكان من المعتقدات الغيبية التي ارتبطت بالرؤى والمنامات أيضًا اعتماد البعض عليها في معرفة أحوال الموتى والاطمئنان عليهم، فقد ذكر عِيّاض أنَّ رجلًا رأى أبا الفضل المَمْسِي(١٨٨) (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م) بعد موته في المنام وهو

يقول له: "قد جمعنا الله وأصحابنا من أهل العلم، فنحن نتناظر في العلوم كما ترى عند مالك بن أنس رضي الله عنه" [١٨٩]. ورأى ابن التبان [١٩٠] (ت٣٧١هـ/٩٨١م) ربيعًا القطَّان (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) بعد موته في المنام، فسأله عن حاله، فقال له: "تارة يزخرف لنا الجنان، وتارة يشرف علينا الحور، وتارة تصطك لنا الحجب"، ثمَّ سأله: مَنْ أعلى درجة، هو أو المَمْسي؟ فقال له: "جُمِعْنَا في حديق واحد"[١٩١]. وعندما مات ابن القابسي (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م) رأى "رجل صالح مِمَّن كان احتسب نفسَه للمبيت على قبره والقراءة عليه كأنَّ رجلًا خرج من قبره، فقال: لي اليوم في العذاب أربعون سنة، فلمَّا دُفِنَ هذا الشيخ أبو الحسن بيننا غُفِرَ لي ولجميع الموتى"[١٩٢]. وتحدَّث رجل من أهل المغرب الأقصى عن رؤيا مناميَّة قائلًا: "رأيتُ أبا زكرياء بن يحيى (من أهل أَزْمور بالمغرب الأقصى، ت٥٦١هـ/١١٦٥م) في النوم فسألته عن زوج أبي حفص فقال لي: تلك المرأة صادقة، فسألته عن أمه، وكانت تاركة الصلاة، فسكت ولم يجب بشيء، فسألته عن جدِّه لأمِّه أبي حفص، فقال لي: كان من الخدَّام لله تعالى لا تسأل عن مثل ذلك"[١٩٣]. ورأى رجل في المنام أبا عمران الوريكي المعلم[١٩٤] (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م) بعد موته، فسأله عن حاله، فردَّ عليه قائلًا: "هلْ جزاء الإحسان إلَّا الإحسان [١٩٥]" [١٩٦]. ورأى آخر في المنام أبا الحسن الهواري[١٩٧] (من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) بعد موته وعليه ثياب حسنة كما عهده في الدنيا، غيرَ أنَّه رآه في صورة شاب، فسأله عن حاله، فردَّ عليه قائلًا:" أوما سمعت قول الله تعالى: إنَّ أصحاب الجنَّة اليوم في شُغل فاكهون[١٩٨]"[١٩٩].

وتعددت الإشارت التي توضح أثر الرؤى والمنامات في الجوانب العلميَّة، ومنها ما يخصُّ حركة الكتابة والتأليف، فقد قام البعضُ بتسجيل مناماته، مثلما فعل الشيخ الصالح أبو محمد عبد لوهاب القيسي[٢٠٠] (ت٢٠٠هـ/٨١٥م)، يقول التجاني في ثنايا حديثه عن مدينة طرابلس :"وزرت بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي محمد عبدالوهاب القيسي رحمه الله، وهذا الرجل يعظمه أهل طرابلس كثيرًا. حكى لي جماعة منهم: أنَّه رأى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في منامه نحوا من أربعمائة، وأنَّه كان يشاور النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في أكثر أموره، فلا يفعل ما يفعل إلَّا بإشارته. قالوا: ولم يُسْمَعْ منه هذا في حياته؛ ولكنه وجد بعد موته مكتوبًا عنده بتواريخه، يذكر كلَّ ليلة وما رأى منها، ثمَّ أوقفني بعد ذلك أهلُ البلد على جزء فيه هذه المنامات، وذكر أنَّه نقلها من خطه، فرأيتُ فيها غرائب من سؤاله للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم"[٢٠١]. وقد أكَّد ذلك الأنصاري بقوله في ترجمته للشيخ عبدالوهاب :"رأى النبي صلى الله عليه وسلَّم أربعمائة مرة، وكان لا يفعل فعلا إلا بإشارة المصطفى، كما ذكره في كتابه" [٢٠٢]. كما قام البعضُ الآخر بالتأليف حول مسائل تتعلق بالرؤى والمنامات، مثلما فعل عبدالرحمن الأنصاري (ت٥٢٣هـ/١١٢٨م) الذي ألَّف مختصرًا في "أصول عبارة الرؤيا"[٢٠٣]. أضِفْ إلى ذلك أنَّ بعض المنامات كانت دافعًا لأنْ يقومَ البعضُ بنقل الأحاديث وكتابتها عن بعض الشيوخ المشهورين، مصداق ذلك قولُ رجلٍ :"رأيت في المنام كأني أتيت إلى أبي خلف الخياط[٢٠٤] (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م) ، فوجدته عند مسجده، فإذا بهاتف يقول لي: هذا أبو خلف الخيَّاط، من نقل عنه حديثًا واحدًا دخل الجنَّة". وإزاء ذلك فإنَّه عندما أصبح ذهب إلى أبي خلف وسمع منه بعض الأحاديث وكتبها[٢٠٥].

وكانت بعض المنامات سببًا في شروع البعض في سماع نوعٍ معينٍ من الكتب من بعض العلماء الكبار، مثلما حدث مع عبد الرحيم بن عبد ربه (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) الذي كان مقيما في قصر زياد[٢٠٦]، فرأى في منامه كأنَّ قائلًا يقول له: "بقي عليك أن تسمع من سحنون كتب ابن وهب"، فاستيقظ وهو عازم على تنفيذ ذلك، غير أنَّ كبر سنِّه وصعوبة حركته حالا دون ذلك، فجعل يدعو الله أنْ ييسر له ذلك، فلم يكن إلَّا يسيرًا حتى قدم سحنون هاربًا من الأمير الأغلبي أحمد بن الأغلب (٢٤٢-٢٤٩هـ/٨٥٦-٨٦٣م) حين دعاه إلى القول بخلق القرآن، فأقام عند عبدالرحيم شهرين ونصفًا مستخفيًا، فسمع منه كتب ابن وهب تنفيذًا لما جاء في المنام[٢٠٧].

هذا؛ وقد مثَّلت بعض الرؤى والمنامات حلًّا لحيرة بعض المؤلفين تجاه تسمية بعض كتبهم التي ألفوها، ومن ذلك أنَّ علي بن زياد [٢٠٨] (ت١٨٣هـ/٧٩٩م) لما ألف كتابه في البيع لم يَدْرِ ما يسمِّيه به، فقيل له في المنام سَمِّه: كتاب خير من زنته، ففعل ذلك[٢٠٩].

وكان من الآثار العلميَّة للرؤى والمنامات أيضًا أثرها الواضح في تغيير المسار العلمي للبعض، كأنْ يتحول أحدُهم من طلب علمِ مذهبٍ إلى طلبِ علمِ مذهبٍ آخر بتأثير من منام رآه، فقد ذكر ابن المبارك[٢١٠] (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) أنَّ رجلًا من أهل مدينة طرابلس بالمغرب الأدنى كان يألفُه، فرأى معه كتبًا قد مُحِيَت وكُتِبَ فيها قولُ أهل المدينة، فسأله عن ذلك، فأخبره أنَّه كان يسمعُ قولَ أهل العراق، فرأى في منامه كأنَّه واقفٌ وسط غدير ماء، وقد أصابه العطش الشديد، فإذا شرب من الماء شربَ دمًا، فيمجُّه من فمِه، وقد حدث ذلك غيرَ مرة، فالتفتَ إلى رجلٍ بالقرب منه وسأله أنْ يسقيَه الماء، فتعجَّب الرجل من كونه

يطلب الماء وهو بين يديه، فأخبره بالقصَّة، فدلَّه على شيخٍ بعينه، فمضى إليه فوجده شيخًا قاعدًا ووجهتُه إلى القبلة، فطلب إليه أنْ يسقيه، فتعجَّب، فأخبره بالقصَّة، فصبَّ له في إنائه ماءً، فشرب منه الرجل وارتوى. فلمَّا أصبحَ سأل عن تأويل هذه الرؤيا، فقيل له: تطلبُ علمًا لا يُنْتَفَعُ به، وسيبدلك الله تعالى به علمًا خيرًا منه. فقال الرجلُ في نفسه: ما هو إلَّا قول أهل العراق. فتركَه، وطلبَ علمَ أهل المدينة على يدِ الإمام سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، وواظب على ذلك، وما كان ذلك إلَّا بتأثير ما رآه في نومه(٢١١).

وفي سياق متَّصل، عقدا رجلان النيَّة على سماع العلم من بعض علماء المذهب الحنفي، فرأى أحدهما في المنام أنَّ سائلًا سأله عن مقصدهما، فأخبره، فما كان من السائل إلَّا أنْ أخذَه على طريق منحرفة حتى أوقفنه على مسجد فيه شيخ، والناس حوله. فقال له :"هنا اطلب العلم من هذا، ولا تعدل". فلما أصبح الرجل (الرائي) قال لصاحبه :"سر بنا إلى حيثُ سِير بي البارحة"، وأخبره بالرؤيا، فمضى معه، وذهبا معًا إلى الموضع الذي رآه في المنام، فإذا به مسجد الفقيه محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) إمام المالكيَّة في عصره، فعرَّفه الرجل بالرؤيا التي رآها، وسلَّم عليه، ولزمه(٢١٢).

وهكذا؛ فإنَّ منطوق النصَّين السابقين يلقي الضوء على أنَّ الصراع المذهبي الذي نشب واحتدَّ بين المالكيَّة والأحناف في بلاد المغرب الإسلامي كان له صداه في موضوعات الرؤى والمنامات، وبخاصة مع ميل حكام الأغالبة والفاطميين إلى المذهب الحنفي الذي وجدوا فيه مرونة وتبريرًا لبعضِ أفعالهم، وقد واجه المالكيَّة ظلمًا وعذابًا كبيرًا من قبل القضاة الحنفيين خلال العصرين،

واستمر الأمر كذلك حتى قرر المعز بن باديس التحول من المذهب الشيعي إلى المذهب السني(٢١٣).

هذا؛ وكانت بعض الرؤى المناميَّة سببًا في أنْ يحوِّل البعض مساره العلمي من طلب الشعر إلى طلب الفقه، مثلما حدث مع أحمد بن أبي سليمان (ت٢٩١هـ/٩٠٣م) الذي قال في سبب طلبه للعلم :"كنت أولًا أطلب الشعر، فرأيت في المنام، كأني على حائط يرجف ونار عظيمة، وأنا أخاف أن أقع فيها. وإذا حلقة رجال، فيهم أبي، فكنت آنس إليه فيقول لي: لا تخف، ارم نفسك في حلقة سحنون تنج". وبالفعل تأثَّر ابن أبي سليمان بالرؤيا، فلزم حلقة سحنون، فأصبح من مقدمي رجاله، وأحد كبار فقهاء المالكيَّة(٢١٤).

كما كانت بعض الرؤى المناميَّة الأخرى سببا في أنْ يحول البعض مساره العلمي من التخصص في دراسة الطب إلى التخصص في دراسة القرآن والحديث، مثلما حدث مع محمد بن عباس (ت٥٤٦هـ/١١٥١م) الذي أراد أن يتخصص في الطب، ولكنه رأى في منامه أحد شيوخه يمنعه من ذلك، ويأمره بدراسة كتب القرآن والحديث، ففعل ذلك(٢١٥).

وعلى النقيض من ذلك؛ كانت بعض الرؤى تؤكِّد لبعض الناس أنه على صواب بالنسبة للعلم الذي ينظر فيه، مثلما حدث مع عثمان السَّلَلْجِي(٢١٦) (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م) الذي قال :"نمت يومًا في المسجد الجامع، فرأيتُ في النوم شخصين قصدا إليَّ، فدفع أحدهما يدَه في صدري، فانفتح، وأخذ الآخر يصبُّ المِلْح فيه، وهو يلتحم إلى أنْ التحم الشقُّ كلُّه. فانتبهت من نومي، وأنا أجد الألم في صدري. فقمْتُ إلى مهدي الخطيب بالجامع، فقصصْتُ عليه الرؤيا. فقال لي: ما هو العلم الذي تنظر فيه الآن؟ فقلت له: انظر في علم الاعتقاد في

كتاب الإرشاد[٢١٧]. فقال لي: الزمْه، فإنَّه سيفتَحُ لك فيه". وبالفعل لزمه السَّلَالْجي، وعندما اشكلت عليه منه جملة مسائل، ولم يجدْ مَنْ يشفي صدرَه منها من أهل المغرب؛ عزم على الرحلة إلى بلاد المشرق لفهم مسائل الكتاب المذكور[٢١٨].

وجدير بالذكر أنَّ بعض الرؤى المناميَّة كانت سببًا رئيسًا وراء تراجع البعض عن موقفه المعارض تجاه كتب بعينها خلال العصر المرابطي (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦- ١١٤٦م)، وهو ما حدث مع ابن حِرِزْهم (ت٥٥٩هـ/١١٦٣م) الذي قال :"اعتكفتُ على قراءة إحياء علوم الدين للغزالي في بيت مدة من عام، فجرَّدْتُ المسائل التي تُنْتَقَدُ عليه، فعزمتُ على حرق الكتاب. فلمَّا نمتُ رأيتُ قائلًا يقول: جردوه واضربوه حدَّ الفِرْيَة، فضُرِبْتُ ثمانين سوطًا. فلمَّا استيقظتُ جعلْتُ أُقَلِّبُ ظهري، فوجدْتُ به ألمًا شديدًا من ذلك الضرب، فتبتُ إلى الله تعالى مِمَّا اعتقدْتُ، ثمَّ بعد ذلك تأملْتُ تلك المسائل، فوجدْتُها موافقة للكتاب والسُّنَّة"[٢١٩].

وهكذا؛ يتبيَّن من حصاد النصوص السابقة أنَّ الرؤى والمنامات كان لها آثار واضحة في بعض القضايا الدينيَّة والفكرية والعلميَّة.

الخاتمة:

خلص البحث إلى أنَّ الاعتقاد في الرؤى والمنامات قد ساد في المغرب إبَّان فترة الدراسة، وذلك على مستوى معظم الطبقات الاجتماعيَّة من الحكَّام والعلماء والفقهاء والعبَّاد وعوام الناس؛ حيث اهتمَّ الجميع بالاستفسار عن تأويل ما شاهدوه من رؤى ومنامات عن طريق سؤال المعبرين الذين وجدوا في عدد من المدن المغربية، وبخاصة مدن المغرب الأدنى، الذي مثَّل الموطن الرئيس للفقه المالكي في المغرب، والذي انتمى إليه معظم المعبرون. كما حاول البعضُ تأويل ما رآه في المنام بنفسه، معتمدًا على خلفيته الدينية وتداعي ألفاظ الحلم ومدلولاته.

وكشف البحث أيضًا أنَّ بعض الأحداث السياسية الكبرى المتمثلة في المعارك والثورات والفتن والاضطرابات كان لها انعكاس على الرؤى المناميَّة للمغاربة، فالحكَّام اعتمدوا عليها في بث الثقة في نفوسهم ونفوس أتباعهم في القدرة على الانتصار في المعارك والقضاء على الثوار، في حين عوَّل عليها بعض العوام في معرفة طرق السلامة أثناء وقوع الفتن والاضطرابات والشعور بالاطمئنان على الأنفس والأموال خلالها، بالإضافة إلى دور بعض الرؤى والمنامات في الكشف عن أحوال المسجونين وتسريح بعضهم. هذا فضلًا عن أنَّ بعض الرؤى المناميَّة كان لها أثر واضح في الأحداث والمشاريع السياسية الكبرى، وعلى رأسها: قيام مُلْك الفاطميين في المغرب، والمشروع الانتقالي للفاطميين إلى مصر، وقطع المعز بن باديس طاعة الفاطميين وإظهار طاعة

العبَّاسيين وتحويل البلاد من المذهب الشيعي إلى المذهب السنِّي، الأمر الذي كان له بالغ الأثر على المستوى السياسي.

وتوصَّل البحث أيضًا إلى أنَّ بعض الرؤى والمنامات كان لها أثر اقتصادي في حياة بعض الناس، فبعضها كان قادرًا على توجيه البعض نحو الشروع في استثمار الأموال لمواجهة ضغوطات الحياة، في حين كان بعضها سببا في عزوف البعض عن زراعة جزء من أرضه المملوكة له بالميراث، بينما كان البعض الآخر منها دافعًا لأنْ يتنازل البعض عن نصيبه في الربح لصالح شريكه. أما البعض الآخر منها فقد عكس انشغال البعض بزيادة الضرائب على ممتلكاته ومدى التأثير السلبي لذلك على الوضع المعيشي له.

كما كشف البحث عن أنَّ بعض الرؤى والمنامات كان لها صدى وتأثير في بعض المظاهر الاجتماعيَّة، ومنها بعض العادات والمواقف الاجتماعيَّة كالتوصية بدفن شعر الابن مع المتوفى تبركًا برؤيا، وكذلك تسمية بعض المواليد بأسماء معينة تنفيذًا لرؤية، والكشف عن هوية بعض مرتكبي الجرائم بواسطة رؤيا، وتغيُّر تصرُّف البعض تجاه عالم من منطلق رؤيا، وإقدام البعض على زيارة بعض الصلحاء وإطعام المحتاجين تنفيذًا لمطالب رؤيا، وصرف النظر عن قرار السفر للحج تنفيذًا لرؤيا، وموافقة الأم على سفر ابنها للحج بعد رفضها استجابة لرؤيا. هذا فضلًا عن أن شغف بعض الحكَّام والناس بالرؤى الحسنة قد فتح الباب أمام بعض المحتالين للادّعاء بأنهم رأوا رؤى حسنة للبعض بغرض الحصول على دنياهم وعطاياهم.

كما سلَّط البحث ضوءًا كاشفا على ارتباط بعض الرؤى والمنامات ببعض القضايا الدينية والفكرية والعلميَّة، كقضية خلق القرآن، وممارسة بعض البدع

والشعائر والمعتقدات الغيبية، بالإضافة دور بعض الرؤى في قيام البعض بتغيير مساره العلمي. هذا فضلًا عن دورها في تغيير الموقف العلمي المعارض من كتب بعينها، وكذلك دورها في هداية بعض المؤلفين إلى التوصل لتسمية بعض مؤلفاتهم، أو إقدام بعضهم على تسجيل رؤاه ومناماته أو حتى التأليف حول أصول تعبير الرؤى بشكل عام.

وكان من القضايا الدينيَّة والفكرية التي عكست اعتقاد بعض المغاربة – وبخاصة في الأوساط ذات المنحى الزهدي والصوفي– قضية الاعتماد على هذه الرؤى والمنامات في التنبؤ بموعد الرحيل والشروع في الخطوات العملية التجهيزية لذلك من قبل الشخص الحالم أو الرائي، ومنها إخبار الأهل بموعد موته، وشراء الكفن، وحفر القبر، ودعوة الأهل لتجهيز البيت لاستقبال من سيأتي لتقديم واجب العزاء.

الحواشي

(١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٦م، ج١، ص ٤٢٣.

(٢) إبراهيم بن محمود عبدالراضي: نوادر الحكايات في الرؤى والمنامات: دراسة شرعية لأحكام الرؤى وشروط المعبر وضوابط الرؤيا الصحيحة وكيفية معرفتها، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الاسكنددرية، ٢٠٠٤م، ص ٧.

(٣) سورة يوس، الآيات: ٤-٥، ٣١، ٤١، ٩٩-١٠٠.

(٤) شلبي إبراهيم الجعيدي: الرؤى والمنامات في مصر الإسلاميَّة دراسة تاريخية، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع٣٦، ص١٣٢.

(٥) محمد مؤنس عوض: الأحلام والرؤى في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام وأوربا خلال المرحلة من ١٠٩٨م إلى ١٢١٢م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مجلة علمية محكمة يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، ع٣٢، ٢٠١٣م، ص ٣٧.

(٦) عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.، ج٢، ص ٧٣.

(٧) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، ج٧، ص ١٩٩.

(٨) البخاري: صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٣٣٥، كتاب: التعبير، باب: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، حديث رقم (٦٩٨٦).

(٩) البخاري: المصدر السابق، ص ١٣٣٥، كتاب: التعبير، باب: رؤيا الصالحين، حديث رقم (٦٩٨٣).

(١٠) الشاطبي: الاعتصام، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢هـ، ج٢، ص ٩٥.

(١١) صحيح البخاري، ص ١٣٥٣، كتاب: التعبير، باب: المبشرات، حديث رقم (٦٩٩٠)؛ وانظر ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٤٢١.

(١٢) هو عَوْن بن يوسف الخزاعي أبو أحمد، من أهل القَيْرَوَان، كان أسن من الإمام سحنون بعشر سنين، سمع من جماعة من أصحاب سحنون وغيرهم، توفي يوم الأحد، ثاني جمادى

الأولى، سنة (٢٣٩هـ/٨٥٣م)، قبل وفاة سحنون بنحو عام، انظر عياض: مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٢٧-٦٣٠.

(١٣) الدباغ: معالم الإيمان، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٢، ص ٤١-٤٢.

(١٤) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٤٢٣.

(١٥) المازري: المُعْلم بفوائد مسلم، ت: محمد الشاذلي النيفر، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩١م، ص ١٩٩، كتاب الرؤية، حديث رقم (١٠٤٤).

(١٦) المالكي: رياض النفوس، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.، ج١، ص ٣٦٩-٣٧٠؛ عياض: مصدر سابق، ج١، ٣٦١-٣٦٢. وللوقوف على ترجمة سحنون انظر الشيرازي: طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٥٦-١٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ٢٠٠١م، ج١٢، ص ٦٥-٧٠.

(١٧) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى الباب الحلبي)، (د.ت).، ج٢، ص ١٢٨٥، حديث رقم (٣٩٠٧).

(١٨) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، دار المنتظر، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٨٧.

(١٩) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٤٢٣.

(٢٠) المازَري: مصدر سابق، ج٣، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢١) سلطان بن عبدالله العثمان: بيان أثر الرؤى والمنامات على الجرح والتعديل، مجلة العلوم الإنسانيَّة، دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل، ع٦، يوليو ٢٠٢٠، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المضَّاء الضرير. سمع من سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، وكان من كبار أصحابه. غلب عليه علم التصوف. توفي أثناء تعذيب القاضي الأغلبي محمد بن عبدون الحنفي له، وكان يكيد لأتباع المذهب المالكي، انظر عِياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٤١؛ الدبّاغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٩١-٩٣. وللوقوف على الصراع المذهبي الخطير الذي دار بين المالكية والحنفية خلال دولة الأغالبة، انظر عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥م، ص ٦٥-٨٦؛

Vonderheyden (M): La berbérie orientale sous la dynastie de Benoù L'Arlab (800-909), p.139-142.

(٢٣) يقول الدبَّاغ في ثنايا ترجمته لإبراهيم المضاء (معالم الإيمان، ج٢، ص٩٢) :"وهو الذي بنى مسجد الخميس بالدِّمْنَة". وقد علَّق ابن ناجي التّنوخي على ذلك بقوله :"وأراد بمسجد الخميس الذي كان يُقْرَأُ فيه الرقائق كل خميس، كمسجد السبت يقرأ فيه الرَّقائق كل سبت".

(٢٤) سوسة: مدينة بالمغرب الأدنى على ساحل البحر المتوسط، بينها وبين القيروان مرحلة، كان بها دار صناعة لعمل المراكب، وأهلها أخلاط من الناس، انظر اليعقوبي: كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص ١٠٥.

(٢٥) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٥.

(٢٦) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٩٩.

(٢٧) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٤٠.

(٢٨) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨.

(٢٩) المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٢.

(٣٠) هو عنبسة بن خارجي الغافقي من علماء إفرِيقيَّة المشهورين، سمع من البُهلول وغيره. وكان سحنون يجله ويعرف حقَّه، انظر ابن تميم التميمي: طبقات علماء إفريقيَّة وتونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص ١٥٠-١٥١؛ القاضي عياض: تراجم أغلبية، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٨م، ص ٧٨-٨٢.

(٣١) رياض النفوس، ج١، ص ٢٤٥.

(٣٢) هو أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سنان، وكنيته أبو عبدالله، نيسابوري الأصل قيرواني التربية، رحل أبوه إلى القيروان في جيش محمد بن الأشعث، بدأ حياته معلمًا للقرآن، تقلَّد القضاء للأمير زيادة الله الأغلبي، وكان على رأس الجيش الذي خرج لفتح جزيرة صقليَّة، توفي متأثرا بجراحات أصابته وهو محاصر لِسَرَقُوسَة سنة (ت٢١٣هـ/٨٢٨م). انظر ابن تميم: مصدر سابق، ص ١٦٣-١٦٦؛ الدبّاغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٣-١٤.

(٣٣) هو أبو سِنَان زَيْد بن سِنَان الأسدي، سمع بمصر وبالمغرب. كان فقيها ثقة مأمونًا تقيًّا، وكان من تواضعه يحمل الخبز على يده إلى الفُرن، ويأبى أنْ يحمله الطلبة له الطلبة. انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص٣٨٧-٣٨٩؛ الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٥٨.

(٣٤) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٣٥) هو جعفر بن محمد بن عِيَّاض المعلم، كان له سماع من عباد بن عبدالصمد، ومن البُهلول، يقال إنَّه أقام خمس عشرة سنة يشتهي التمر، فاشْتُرِيَ له منه رطلٌ، فلمَّا مرض قال

لهم: انظروا إلى التمر فإنَّه في الطَّلق، وتصدَّقوا به، ومات ولم يأكله، انظر الدبَّاغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٦٥.

(٣٦) ابن تميم التميمي: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص ١٩٨.

(٣٧) معالم الإيمان، ج٢، ص ٦٥.

(٣٨) اسمه أبو شيخ طلق بن الشيخ، ويقال إنَّ اسمه سيف بن طلق، روي عن عبدالرحمن بن زياد بن أنْعُم، وكان رجلًا صالحًا معروفًا بالدين. للوقوف على ترجمته كاملة انظر: ابن تميم التميمي: مصدر سابق، ص ١٧٨؛ المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٩٧-٢٩٩.

(٣٩) رياض النفوس، ج١، ص ٢٩٨.

(٤٠) طبقات علماء إفريقية وتونس، ص ١٧٨.

(٤١) لم أتمكن من الوقوف على ترجمته في المصادر التي اطَّلعت عليها، ومع هذا فيظهر من خلال ما ذكره المالكي (مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٤-٣٧٥) أنَّه كان من سكَّان مدينة طرابلس بالمغرب الأدنى خلال (الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، ثمَّ انتقل إلى مدينة القيروان، حيث سمع فيها من عَوْن الخزاعي (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م) ومن سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).

(٤٢) رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٥.

(٤٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القصري المتعبِّد، كان معلمًا للصبيان، وكان مستجاب الدعاء، كثير النياحة والبكاء إذا جنَّ الليل. للوقوف على ترجمته كاملة انظر المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ٣١٦-٣١٩.

(٤٤) معالم الإيمان، ج٣، ص ٤٢.

(٤٥) هو أبو علي الحسن بن علي المؤدب المكفوف الفقيه الزاهد، كان عالمًا باختلاف العلماء واتفاقهم، مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن الكريم، انتفع به خلق كثير من الناس، وكان من المعروفين بالإحسان إلى المساكين. للوقوف على ترجمته كاملة انظر المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ٤٠٦-٤١٠؛ السيوطي: بغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م، مج١، ص ٥١٦.

(٤٦) يذكر هنا أنَّ الدولة الفاطميَّة قامت بإفريقيَّة وجزء من المغرب الأوسط، ثمَّ أخضعت المغرب الأوسط والأقصى بعدما أسقطت الدول المستقلَّة الموجودة في المغارب الثلاثة (وهي:الأغالبة، الرستميون، المدراريون، الأدارسة)، انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء

الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص ٣٢٥؛ فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب– التاريخ السياسي والمؤسسات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م ، ص ٢٠–٥٠. وللوقوف على نسب الفاطميين انظر الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، الجزائر، ١٩٧٤م، ج١، ص٩٢؛ عبد الحليم عويس: قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي، دار الصحوة، ١٩٨٥م.

(٤٧) رياض النفوس، ص ٤٠٦.

(٤٨) معالم الإيمان، ج٣، ص ٥٣–٥٤.

(٤٩) لم أتمكن من الوقوف على ترجمته في المصادر التي اطَّلعت عليها، ويفهم مما ذكره المالكي أنَّه كان يعيش في نهايات القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) أو (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)؛ إذ يظهر أنَّه كان أكبر سنًّا من ابن أبي زيد القيروان المتوفي في سنة (٣٨٦هـ/١٩٩٦م).

(٥٠) هو أبو محمد عبدالله بن أبي زيد، واسم أبي زيد عبد الرحمن النَّفزاوي نسبًا إلى نَفْزَة شمال تونس قرب باجة، والقيرواني مولدًا ومَنْشَأً ومَدْفنًا، سمع بإفريقيَّة، كان من أهل العلم والعبادة والورع، حاز رئاسة الدين والدنيا، وإليه كانت الرحلة في الأقطار، له تواليف عديدة، منها: كتاب النوادر، وكتاب المختصر للمدونة، وكتاب الرسالة، وغيرها. للوقوف على ترجمته كاملة انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ١١١–١٢٤؛ الصفَدِي: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٧، ص ١٣١.

(٥١) عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ١٤٥.

(٥٢) هو مسرة بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، يكنى بأبي بكر، من أهل العلم والعبادة والورع، كان صديقًا لأبي إسحاق الجبنياني الذي كان يوثقه في العلم ويأمر ولده وغيره بالسماع منه. لمّا احتُضِرَ ابتدأ القرآن، فانتهى في سورة طه إلى قوله تعالى :"وَعَجِلْتُ إليك ربِّ لِترضى"، ففاضت نفسُه، انظر عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ١٦٩–١٧٠؛ علي بن محمد العمران: المشوق إلى القراءة وطلب العلم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٢٥هـ، ص ٣٠.

(٥٣) عياض: مصدر سابق، ج٢، ص١٧٠.

(٥٤) هو إبراهيم بن أحمد بن علي البكري المعروف بالجُبنياني: يُنسب إلى "جُبْنِيَانة" قرية بإفريقيَّة قريبة من مدينة سفاقس، وهو أحد أئمة المسلمين والعلماء العاملين والأولياء

الصالحين. مُجمع على فضله وورعه، انظر ابن فرحون: الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص ٢٦٤-٢٦٥؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج١، ص ١٤٢.

(٥٥) عياض: مصدر سابق، ج٢، ص ١٤٦.

(٥٦) هو أبو حفص عمر بن حسين المفسِّر، كان معاصرًا للشيخ أبي الحسن القابسي (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وتوفي بعد أبي بكر بن يوسف الخُزاعي المتعبِّد المتوفَّى في نهايات القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ١٢٤-١٢٥.

(٥٧) المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٥.

(٥٨) هو المهدي بن عيسى، كان من أحسن الناس خُلُقًا وخَلْقًا، وكان خطيبًا بمسجد القرويين بمدينة فاس زمن المرابطين، وعندما دخل الموحدون المدينة صرفوه عن الخطبة في جمادى الأولى سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وقدموا مكانه الشيخ الصالح أبا الحسن عطية لأجل حفظه اللسان البربري، فخطب بالجامع إلى أنْ توفي سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م)، انظر ابن القاضي المكْنَاسي: جِذْوَة الاقتباس في ذكر من حَلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج١، ص ٥٧.

(٥٩) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتِي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ١٩٩.

(٦٠) شلبي إبراهيم الجعيدي: الرؤى والمنامات في مصر الإسلاميَّة، ص ١٥١.

(٦١) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٢٤١.

(٦٢) المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٦٣) الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ٤٢.

(٦٤) لقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم :"من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشيطان لا يتخيَّل بي".راجع صحيح البخاري، ص ١٣٣٧، كتاب: التعبير، باب: من رأى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في المنام، حديث رقم (٦٩٩٤).

(٦٥) الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ٥٣-٥٤.

(٦٦) هو أبو زكرياء يحيى بن يوسف بن عامر الكِنَاني الأندلسي من أهل جِيان، نشأ بقرطبة. عداده في الإفريقيين؛ لأنه سكن القيروان، واستوطن مدينة سوسة آخرًا، وبها قبره. سمع من سحنون وغيره، كما رحل إلى المشرق فسمع هناك، كان فقيها ثقة، وكان حريصا على أهل

العلم، يُحَرِّض طالبه ويشرفه، وهو صاحب كتاب أحكام السوق. للوقوف على ترجمته كاملة انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٢٧-١٣٣؛

Pons Boigues (F): Ensayo biobliogràfco sobre los historiadores y geógrafos aràbigo españoles, Madrid, 1898, p. 392.

(٦٧) ترتيب المدارك، ج١، ص ٥٠٦؛ الدبَّاغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٣٠.

(٦٨) هو القاضي النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون، يأتي على رأس فقهاء المذهب الإسماعيلي من حيث الشهرة وكثرة التأليف والتصنيف في معتقدات وتاريخ الفاطميين، انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٤١٥-٤١٦؛ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٦، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٦٧.

(٦٩) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٣١٢.

(٧٠) هو عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح الإفريقي، من العَجَم، ولد بساحل مدينة القيروان سنة (٢١٣هـ/٨٢٨م). عمل والده على تعليمه منذ صباه، سمع من الفقيه سحنون (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) ومن غيره، كان يشبه سحنون في هيبته. تولى القضاء سنة (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، انظر ابن عِذَارِي: البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، دار الغرب الإسلامي، تونس١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج١، ص ١٤٥؛ مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص ٢٤٦؛ أحمد الأسود: عيسى بن مسكين، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر (النخب والسلطة السياسية من خلال كتب الطبقات)، تونس، ٢٠١٢م، ص ٣٠٢-٣٠٦.

(٧١) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٩٣.

(٧٢) المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٦.

(٧٣) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٥.

(٧٤) المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٥.

(٧٥) هو أبو جعفر موسى بن مُعاوية الصُّمَادِحِي، كان عالمًا بالفقه، راوِيًا للحديث، ثقة مأمونًا، قِيلَ لسحنون: إنَّ موسى بن معاوية جلس في الجامع يُفْتِي الناس، فقال: ما جلس في الجامع منذُ ثلاثين سنة أحقُّ بالفُتْيَا مِنْ موسى بن معاوية. للوقوف على ترجمته كاملة انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٢٨-٣٢.

(٧٦) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٣٦٨.

(٧٧) هو محمد بن أبي سليمان، يكنَّى بأبي جعفر، واسم أبيه داود، ويعرف بالصواف، مولى ربيعة، كان أبوه من أهل العلم ومن أصحاب سحنون، كان يفتي في بعض القضايا، وله كلام كثير في الحِكَم وصفات طالب العلم، انظر عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٥١٠-٥١٢.

(٧٨) معالم الإيمان، ج٢، ص ٦٥.

(٧٩) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٥.

(٨٠) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٩٩.

(٨١) سُمِّي دراسا لكثرة درسه، وكان قد سمع من شيوخ المغرب الأقصى ومن شيوخ إفريقية، انظر ابن القاضي المكْنَاسي: جِذْوَة الاقتباس، ج١، ص ١٩٤-١٩٦.

(٨٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٧٩.

(٨٣) المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٢.

(٨٤) هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدوس، كان ثقة إمامًا في الفقه ذا ورع وتواضع، وكان أشبه الناس بإخوان سحنون في فقهه وهديه ومطعمه وملبسه، وكان حبيب (صاحب مظالم سحنون) يسأله عن المسائل التي تنزل به إذا ما تعذَّر الوصول إلى سحنون. للوقوف على ترجمته كاملة انظر المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٩-٤٦١؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، المعهد الفرنسي، دمشق، (د.ت)، ص ٢٨.

(٨٥) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٤٤٠.

(٨٦) هو أبو سليمان ربيع لن سليمان بن عطاء الله، سمع بالقيروان وبمصر، كان لسان إفريقية في وقته في الزهد والرَّقائق، وكان يؤلِّف الخطب والرسائل ويقول الشعر، توفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ٣١-٣٦.

(٨٧) عياض: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٨.

(٨٨) المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٥.

(٨٩) مدينة بالمغرب الأدنى، بناها الخليفة الفاطمي الثالث المنصور سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) بعد قضائه على ثورة أبي يزيد، وأطلق عليها أيضًا اسم (صَبْرَة) تيمنًا بصبره على ملاقاة أبي يزيد، انظر التجاني: رحلة التَّجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ١٩٨١م، ص ٣٢٨؛ حسن حسني عبدالوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦م، ص ١٠٠.

(٩٠) هو بطليموس قلاوديوس القاوذي، ولد بصعيد مصر، وعاش في مدينة الاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد، وله كتاب اسمه (المجسطي)، وهو كتاب في علم الهيئة والنجوم

وحركات الكواكب والأفلاك، جاء في ثلاث عشرة مقالة، وقد قام يحيى بن خالد بن برمك بتعريبه سنة (١٩٠هـ)، ثمَّ قام غيره بشرحه بعد ذلك، انظر القِفْطِي: اخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة المصرية، ١٣٢٦هـ ، ص ٩٥-٩٦؛ ابن جُلْجُل: طبقات الأطباء والحكماء، مؤسسة الرسالة، سوريا، ١٩٨٥م، ص ٣٧.

([٩١]) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٣٢٥-٣٢٧.

([٩٢]) هو أبو محمد عبدالغفور بن يوسف الأَيْلَاني، من أهل تاكاترت من بلاد أيلان بالمغرب الأقصى، عاش بمدينة أغمات، وبها مات سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م)، وكانت له عناية بالفقه، انظر السَّمْلالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٨، ص ٤٥٠.

([٩٣]) أغمات: مدينة بالمغرب الأقصى، كثيرة الخير والتجارة، بينها وبين فاس ثماني مراحل، وليس بالمغرب كله بلد أوفر خيرًا منها، انظر ابن حَوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت)، ص ٩٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٢٥.

([٩٤]) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٢٥٣.

([٩٥]) هو عبدالرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري. ولد ببلنسية عام (٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، وانتقل في شبابه إلى مدينة فاس، ووعظ بها، والتزم الوراقة في حانوت بغربي جامعها، ثمَّ استوطن في النهاية مدينة مرَّاكش، وبها توفي سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م). له مصنفات أخرى، مثل: مختصر السير والمغازي من سير ابن إسحاق وتاريخ أبي جعفر الطبري. انظر ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٠٨-٤٠٩.

([٩٦]) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٠٩.

([٩٧]) محمد عادل عبدالعزيز: التربية الإسلامية في المغرب؛ أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ١٢٥.

([٩٨]) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٥٠٦-٥٠٧.

([٩٩]) تُعَدُّ ثورةُ أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد أبرز حدثٍ سياسي في تاريخ الفاطميِّين في المغرب؛ حيثُ أخذ هذا الرجل – الذي كان من الخوارج الإباضية النُّكَّار الرافضين لسياسة الفاطميين ومبادئهم الشيعية –يبثُّ أفكارَه المناوئة للفاطميِّين متظاهرًا بالزهد. وقد بدأت هذه الثورة سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) في فترة الخليفة الفاطمي الأول المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ)، واشتدَّت في عهد

الخليفة الفاطمي الثاني القائم (٣٢٢-٣٣٤هـ)، فاستطاع أبو يزيد أنْ يسيطر على مناطق واسعة ويُخْرِجُ عنها الفاطميين، حتَّى فرَّ أمامَه الخليفة القائم، لينتهي أمرُه بعد ذلك على يد الخليفة الفاطمي الثالث المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ)، بعد أنْ انفضَّ أنصاره من حوله، ففشلت ثورته، وانتهت بوفاته سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م)، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٢٨-٢٣٢؛ راضي عبدالله عبدالحليم: فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد، الأندلس للإعلام والنشر، الجيزة، ١٩٩٤م، ص ١٤-٥٠؛ مراد عرعار: الظاهرة العمرانية ببلاد الساحل، ندوة "الظاهرة العمرانية ببلاد الساحل"، المنستير، ٢٠٠١م، ص ٢٢-٣١.

(١٠٠) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ١١٣-١١٤.

(١٠١) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٣٢.

(١٠٢) هو أحمد بن بكر الزناتي، نقضَ طاعة الفاطميين في مدينة فاس، ودخل في طاعة الناصر الأموي الذي ولَّاه على المدينة حين بايعه أهلها، فأسره جوهر (قائد المعز الفاطمي) في حملته الكبرى والشاملة على المغرب سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م)، ووضعه في قفص، وأرسله إلى مدينة المنصورية صحبة أمير سجلماسة (محمد بن الفتح الملقَّب بالشاكر لله) الذي وُضِعَ في قفص آخر، فطيف بهما في أسواق القيروان، ثمَّ حُملا إلى المهدية، فتمَّ حبسهما بها إلى أنْ ماتا في سجنها، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٩٠-٩١.

(١٠٣) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص ٣٨٥-٣٨٦.

(١٠٤) حَمِيد بن يصل (أو يصلتين): قائد بربري، ولَّاه الخليفة الفاطمي المهدي على مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط، واستعمله بعد ذلك ضدَّ موسى بن أبي العافية الذي استجاب لعبدالرحمن الناصر الأموي، وخلع طاعة الفاطميين الشيعة، وخطب للناصر على منابر المغرب الأقصى، فدارت بينهما حرب سجال حتَّى تمكن حميد من دخول فاس، ثمَّ عاد إلى المغرب الأدنى سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م)، فسجنه المهدي في السنة نفسها لتقصيره في تتبع أعداء الفاطميين الشيعة، ففرَّ من السجن سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م)، والتحق بالأندلس، فانضمَّ إلى جيش الأمويين، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٤-٨٥؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ج١، ص ٢٤٤.

(١٠٥) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٢٥٣.

(١٠٦) أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر، ت ٤٧١هـ): كتاب سير الأئمة وأخبارهم، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، ط٢، ص ١٦٦-١٦٧.

(١٠٧) فكَّر المهدي الفاطمي في فتح مصر، فأرسل إليها حملتين عسكريتين بقيادة ابنه أبي القاسم محمد، الأولى سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) والثانية سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)؛ ولكنهما باءتا بالفشل، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٩٣، ١٩٤؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٧٢؛ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٢٨.

(١٠٨) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٥٠٨.

(١٠٩) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ، ج١، ص ٩٦.

(١١٠) المصدر السابق، ج١، ص٩٧.

(١١١) تجدر الإشارة إلى أنَّ منطقة المغرب الأقصى قد شهدت صراعا عنيفا بين الفاطميين (أصحاب المغرب) وبين الأمويين (أصحاب الأندلس)، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢١٦؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٩. ويغلب على الظنِّ أنَّ هذا الصراع كان -في الأساس- من أجل سَعْي كلِّ طرف إلى السيطرة على الطرق الصحراوية من أجل الوصول إلى ذهب السودان، انظر الهادي روجي إدريس: الدولة الصَّنْهاجية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص ٢٩١؛ موريس لومبار: الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية، بحث ضمن كتاب (بحوث في التاريخ الاقتصادي) مطابع دار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة، ١٩٦١م، ص٦٣.

(١١٢) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(١١٣) المصدر السابق، ص ٨٧.

(١١٤) المقدمة، ج١، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(١١٥) تاهرت أو تَيْهَرت: مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط، بناها عبد الرحمن بن رستم (مؤسس الدولة الرستميَّة بالمغرب الأوسط ١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٦-٩٠٩م) بين تلمسان وقلعة بني حماد، انظر عنها ابن خرداذَبَة: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص ٨٨؛ مؤلف مغربي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ت)، ص١٧٨.

(١١٦) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص ٥٥٥-٥٥٦.

(١١٧) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٣٢٥-٣٢٧. وتجدر الإشارة إلى أنَّ حوادث هروب الأسود من الأقفاص أثناء احتفالات بعض الحكَّام ببعض المناسبات قد تكرر في المغرب، ومن ذلك ما حدث في عصر المعز بن باديس سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م) عندما أفلت سبعٌ، فانهزم الناس أمامه، ووقع بعضهم على بعض، فمات منهم نحو المائتين، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٣٠٤.

(١١٨) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص ٨٧.

(١١٩) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(١٢٠) انفرد ابن القاضي بذكر خبر هذا المنام، في حين اقتصرت المصادر الأخرى على التأريخ لدخول جوهر مدينة فاس دون ذكر لهذا المنام، انظر -مثلًا- ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٣٥؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٠٠.

(١٢١) البيان المغرب، ج١، ص ٢٩٩.

(١٢٢) معركة كبيرة وقعت في التاسع من شعبان عام ٥٩١هـ (الثامن عشر من يولية ١١٩٥م) بين قوات الموحدين بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور وقوَّات ملك قشتالة ألفنسو الثامن، وكان لهذه المعركة دور كبير في توطيد حكم الموحدين في الأندلس وتوسيع رقعة بلادهم فيها، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص ٣٢٤-٣٢٧.

(١٢٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(١٢٤) هو أبو محمد الأنصاري الضرير، كان ضرير البصر والبدن، وكان زاهدًا صالحًا مستجاب الدعاء، وهو الذي يُنْسَبُ إليه مسجدُ السَّبْت بالدِّمْنَة خارج مدينة القيروان، وقد سُمِّي بهذا الاسم لأنَّهم كانوا يقرؤون فيه الرقائق يوم السبت من كل جمعة، ويحضره أولياء الله والصالحون والعلماء. توفي سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م). للوقوف على الترجمة كاملة انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٦١-٦٣.

(١٢٥) قاد منصور الطنبذي هذا ثورة كبيرة ضدَّ زيادة الله الأغلبي، استمر فيها القتال بين الطرفين حوالي أربع سنوات، فقد بدأت في سنة (٢٠٩هـ/٨٤٢م)، وانتهت سنة (٢١٣هـ/٨٤٦م)، وقد عانى خلالها أهلُ إفريقيَّة معاناة شديدة، وانتهبت بسببها أموالُهم. للوقوف على تفاصيل هذه الثورة انظر المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص٩؛ ابن عذاري: مصدر سابق، ج١، ص١٣٨-١٤٣.

(١٢٦) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤١٣.

(١٢٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٦٧.

(١٢٨) المُنَسْتِير: مدينة قديمة بإفريقية، بناها الرومان على ساحل البحر، تقع بين المهدية وسوسة، وهي عبارة عن حصن كبير عالٍ متقن العمل والبناء، وفيه خمسة قصور يحيط بها سور واحد، يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم، وأهل القيروان يتبرعون بحمل الأموال إليهم والصدقات، انظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٣٣١؛

De Epalza (M.): "Al-Munastir d'Ifriqiya et Al-Munastir de Xarq-Al-Andalus", in Le patrimoine andalou dans la culture arabe et espagnole, Tunis,1992, p. 103.

(١٢٩) عياض: مصدر سابق، ج٢، ص ١٦٠.

(١٣٠) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن حِرِزْهِم، وُلِدَ في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، وبها نشأ وتوفي سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، وقيل سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م). كان شيخًا مطاعًا في بلاد المغرب في وقته، فقد كان فقيهًا حافظًا للفقه، ورعًا، زاهدًا متقشفًا، سلك سبيل أهل التصوُّف، انظر الكتاني: سلوة الأنفاس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، الرباط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، ج٣، ص ١٠٥-١٠٨.

(١٣١) المستفاد في مناقب العباد، تطوان، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٢٥.

(١٣٢) هو أبو عمرو هاشم بن مسرور التميمي والد القاضي عبد الله بن هاشم، سمع من الإمام سحنون وغيره، وكان رجلا صالحا، كثير الصدقة، يجمع بين ثلاث خصال؛ العلم، والعمل، والسخاء التام، كان يتصدق في العام الواحد بالمال الكثير، وكان له فرن لصناعة الخبز، فكان كلما خرج منه خبز جيِّد تأمله وتصدق به على الفقراء والمساكين، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص١٨٩-١٩٢.

(١٣٣) المهراس: هو الهاوُن ونحوه من آلات هَرْس الطعام، انظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٩٨١.

(١٣٤) المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ١٤٨-١٤٩.

(١٣٥) هو أبو محمد عبدالله بن نعيم الحضرمي القرطبي، ذكر الغبريني أنَّه نشأ بمدينة تونس، وتوفي بمدينة قسنطينة، انظر الغبريني: عنوان الدراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السابعة ببجاية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص ٣٢٥.

(١٣٦) الغبريني: عنوان الدراية، ص ٣٢٥-٣٢٦. وعندما سُئِل عن سبب ذلك أجاب: أنَّه لم يكن له سبب سوى أنَّه خمَّس القصيدة الجيمية عند دخوله السجن، وهي المعروفة بالمفرجة، وهي للشيخ أبي الفضل المعروف بابن النحوي التلمساني (ت٥١٣هـ)، والتي ومطلعها (اشتدي أزمة تنفرجي)، انظر حميد الحداد: السلطة والعنف في الغرب الإسلامي، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٥٩، حاشية رقم (٥).

(١٣٧) هو أبو علي الحسن بن نصر السوسي، مولى امرأة من قصطيلية. كان فقيها عابدًا عالمًا رحيما بالمحتاجين أوقات الشدائد والمجاعات، انظر المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص٣٩٢-٣٩٧.

(١٣٨) توْزَر: قاعدة البلاد الجريدية الإفريقية، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها، وأصل مياهها من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد في وادٍ مُتَّسع، تتشعَّبُ منه جداول يقسمونها بينهم على أملاك لهم مقرّرة ومقاسم من المياه معروفة، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١، ص ٢٧٧.

(١٣٩) المالكي: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٩٩-٤٠٠. ولم أتمكن من العثور على قرية المريدين ومنزل أبي سعيد في المصادر الجغرافية التي اطلعت عليها، ولعلَّ ما ذكره محقق كتاب (رياض النفوس، ص ٤٠٠، حاشية ٩٩) من أنَّ قرية المريدين هي التي تعرف اليوم بالمردين من معتمدية ولاية سوسة يكون صحيحًا.

(١٤٠) تادلا أو تادلة: مدينة بالمغرب الأقصى تقع على مسيرة أربعة أيام من مدينة أغمات، وهي مدينة غير واسعة، تبدأ من نهر العبيد وتنتهي عند نهر أم الربيع، وتنتهي جنوبا عند جبال الأطلس، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٤٢؛ ابن الوزان: وصف إفريقيا، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٨٣.

(١٤١) سورة النساء، الآية (١٠).

(١٤٢) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(١٤٣) هو جبل يُطلُّ على مدينة فاس، ويقع خارج باب الجيسة منها، انظر ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ١٥٤، ٣٣٨، ج٢، ص ٤٧٢.

(١٤٤) ابن الزيات: مصدر سابق، ص ٢٠٣.

(١٤٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٨٤؛ عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٥٢٤.

(١٤٦) عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٧٣.

(١٤٧) سورة الفاتحة، آية (٤).

(١٤٨) التميمي: المستفاد في مناقب العبَّاد بمدينة فاس، ج٢، ص٥٦-٥٨.

(١٤٩) عياض: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٧.

(١٥٠) هو أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد، كان يعرف بعبدالرحيم المستجاب. كان أوَّل أمره تاجرًا في سوق البزازين في مدينة القيروان، ثمَّ ترك ذلك، وسكن قصر زياد الذي بناه ليكون حرسًا للمسلمين وغوثًا لهم، يلجأون إليه ويرابطون فيه. كانت عنده ضيعة واسعة، تضمُّ سبعة عشر ألف شجرة زيتون، وكان مع ذلك كثير الصدقة والمعروف، انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٢٢-٤٢٣، ٤٣٠.

(١٥١) المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٩.

(١٥٢) هو أبو عبد الله محمد بن سحنون المولود بمدينة القَيْرَوَان سنة (٢٠٢هـ/٨١٧مم). كان إمامًا ثقة عالمًا بمذهب الإمام مالك. رحل إلى المشرق سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م)، ووصل إلى مصر، فكان علماؤها يأتونه ويسلمون عليه، انظر المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(١٥٣) المالكي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٣.

(١٥٤) التميمي: المستفاد في مناقب العبَّاد بمدينة فاس، ج٢، ص ٢١.

(١٥٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٤٥.

(١٥٦) المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٨.

(١٥٧) هو أبو السري واصل بن عبدالله الجُمِّي، نسبة إلى قصر جُمَّة الذي كان يتعبد فيه، كان من الزهاد والعبَّاد، سمع من سحنون، وكان له حانوت يتَّجرُ فيه، ثم تركه ولزم العبادة، (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م)، انظر المصدر السابق، ج١، ص ٤٣١- ٤٤١.

(١٥٨) عياض: مصدر سابق، ج١، ص ٤٢٣.

(١٥٩) بُجَاية: مدينة عظيمة بالمغرب الأوسط على ضفة البحر، وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي طويل، انظر مجهول: الاستبصار، ص١٢٨-١٢٩.

(١٦٠) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ج٢، ص٧٢.

(١٦١) المصدر السابق، ج٢، ص ١١٨. ويظهر أنَّ الاختلاف على قرار القيام بالحج كان مثارًا بين الأم وابنها في بلاد المغرب في أوقات متعددة، فقد سئل ابن أبي زيد القيرواني

(٣٨٦هـ) "عمَّن أراد الحج، فمنعته والدته، أو أذنت له وهي كارهة"، فأجاب قائلًا :"ينبغي مبادرته للفرض وليتلطف في رضاها. فإن لم ترض، فليخرج إن شاء، وينبغي المبادرة بالفرض، فإنَّ التأخير لا يزيد إلَّا شرًّا، ولا يأتي خيرا ينتظر، وإنما استحب مالك الإقامة إلى السنة الأخرى في منعه من أبويه". انظر فتاوى ابن أبي زيد القيرواني، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤م، ص ١٣٠. ولعلَّ هذه الخلافات كان منطلقها الأحوال المعيشيَّة لبعض الأسر المغربية.

(١٦٢) هو أبو عبدالله محمد بن سهل الصوفي، قيرواني، كان من أهل الفضل والدين، تنسَّك بعد فترة، انظر المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ٣٠٥.

(١٦٣) النَّوَالة، أصل بربري، لا زال مستعملا في اللغة الدارجة في البلاد التونسية، وهو يشير إلى كوخ مبني بالحجارة، وسقفه من أغصان الشجر والقش، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٣، حاشية (٩).

(١٦٤) الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ٢٠. وانظر حديث النهي عن كسر عظام الميت عند ابن ماجة: السنن، كتاب (الجنائز)، باب (النهي عن كسر عظام الميت)، ج١، ص ٥١٦، حديث رقم (١٦١٦).

(١٦٥) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٩ –٢٨٠؛ عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٢٧٨.

(١٦٦) كان معلمًا للصبيان بمدينة فاس، فكان يأخذ الأجر من أبناء الأغنياء فيرده على أبناء الفقراء دعمًا لهم، انظر الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢، ص ١٨٨.

(١٦٧) ابن الزيَّات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٢٧٤.

(١٦٨) يقول صاحب كتاب (الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١١٤) :"وتنازعوا في قبلة الجامع، فبات عقبة مهمومًا، فرأى في المنام قائلًا يقول له: خُذْ اللواء بيدك فحيث ما سمعتَ التكبير فامشِ، فإذا انقطعَ التكبير فأَرْكِزْ اللواء فإنه موضع قبلتكم؛ ففعل عقبة ذلك فهو موضع القبلة، وهو محراب جامع القيروان إلى اليوم"

(١٦٩) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٦٥.

(١٧٠) هو الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي، لم يكن قابسيًّا من أهل مدينة قابس بالمغرب الأدنى، وإنَّما كان له عمٌّ يشدُّ عمامتَه بشدِّ أهل قابس، فسمِّي بذلك، وهو قيرواني الأصل، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ١٣٦–

١٤٥؛ حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٧٤-٢٨٤.

(١٧١) الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص١٤٥. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشريعة قد جعلت للاستسقاء صلاة تخصُّه، قام بها النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، وقد ثبت أنَّ عمر بن الخطاب استسقى بدعاء العباس بن عبدالمطلب عمّ النبي. أمَّا الاستسقاء بميِّت فيعَدُّ من البِدَع، انظر مصطفى باجو: علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبوريَّة والمواسم، (م.ت)، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ١١١-١١٣، ١٢٨-١٣٠.

(١٧٢) التوسُّل بمعنى التقرُّب، وهو لا يجوز إلَّا في حالات ثلاث، وهي: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، التوسل إلى الله بعمل الأعمال الصالحة للداعي نفسه، والتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح، وعليه فالتوسُّل بالأموات أو قبورهم يُعَدُّ من البِدَع والشرك، انظر ابن تيمية: الجواب الباهر في زُوَّار المقابر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٢هـ، ص ١٠٣-١٠٧.

(١٧٣) هو أبو جعفر حمديس القطان، واسمه: أحمد بن محمد الأشعري، يقال إنه من ولد أبي موسى الأشعري، كان لا يسلك على القناطر التي بناها أصحاب السلطان. للوقوف على ترجمته كاملة انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ١٠٧-١١١.

(١٧٤) هو صدقة المؤدِّب الضرير، كان مُقْعَدًا لا مجذومًا، كان يُعَلِّم القرآن، مشهورًا بإجابة الدعاء، وكان الناس يستسقون به إذا قَحَطُوا، انظر المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٤-١٨٥.

(١٧٥) رياض النفوس، ج٢، ص ١٢٩.

(١٧٦) محمد حقي: الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانبال، المغرب، ٢٠٠٧م، ص ١٩.

(١٧٧) الدباغ: مصدر سابق، ج٢، ص ٤١-٤٢.

(١٧٨) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥-٥٥.

(١٧٩) كان فاضلًا عابدًا. سكن مدينة سوسة محتبسًا للحرس بها على المسلمين، انظر المالكي: رياض النفوس، ج٢، ص ١٨٢.

(١٨٠) المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٢.

(١٨١) عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ١٧٠.

(١٨٢) الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ١٤٤-١٤٥.

(١٨٣) هو أبو زكرياء بن يُوغان الصّنهاجي، من أهل مدينة تلمْسان بالمغرب الأوسط، وكان أهلُها يستسقون به عند غياب المطر، انظر ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص١٢٣-١٢٤.

(١٨٤) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(١٨٥) البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١٢٧.

(١٨٦) ابن الزيات: مصدر سابق، ص ٢٥٣؛ السملالي: الإعلام، ج٨، ص ٤٥١.

(١٨٧) ابن الزيات: مصدر سابق، ص ١٦٦.

(١٨٨) هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد بن عيسى الممسي، نسبة إلى قرية مِميس بإفريقيَّة، كان فقيها عالمًا بعلم الوثائق، حجَّ سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م)، وكان مِمَّن خرجوا لقتال الفاطميين مع أهل القيروان الذين وقفوا في صفِّ الثائر أبي يزيد الخارجي؛ لأنَّه كان يعتقد كفرَهم، انظر الخُشَنِي: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص ٢٣٤؛ الدباغ: معالم الإيمان، ج٣، ص ٢٧-٣٠.

(١٨٩) عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٣٢.

(١٩٠) هو أبو محمد عبدالله بن إسحاق بن التبان، كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، له باع كبير في الذب عن مذهب أهل السنة بالمغرب في وقته، توفي سنة (٣٧١هـ/٩٨١م)، انظر الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ٩٢-١٠٠.

(١٩١) ترتيب المدارك، ج٢، ص ٣٨.

(١٩٢) الدباغ: مصدر سابق، ج٣، ص ١٤٥.

(١٩٣) ابن الزيات: مصدر سابق، ص ١٨٣.

(١٩٤) هو أبو عمران موسى بن إسحاق الوريكي المعلم، من أهل مدينة مَرَّاكُش بالمغرب الأقصى، وبها توفي سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م)، كان من المعروفين بالصلاح وحب الخير، يقال إنَّه دُفِعَتْ له أربعمائة دينار في المجاعة التي كانت عام (٥٩١هـ/١١٩٤م)، فتصدَّق بجميعها على المساكين، انظر السملالي: الإعلام، ج٧، ص ٢٩٠-٢٩١.

(١٩٥) سورة الرحمن، آية (٦٠).

(١٩٦) ابن الزيات: مصدر سابق، ص ٢٩٩.

(١٩٧) هو أبو الحسن علي بن عبدالرحمن الهواري، من أهل أغمات وريكة، كان عبدًا صالحًا ذا مال، فكان يصرفه في سبيل الخير والبر، انظر السملالي: الإعلام، ج٧، ص ٧٣.

(١٩٨) سورة يس، آية (٥٥).

(١٩٩) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ١٩٤؛ ابن مليح: أنس الساري والسارب في أقطار المغارب، فاس، ١٩٦٨م، ص ١٩.

(٢٠٠) هو العارف بالله الناسك العابد، الورع الزاهد، كان من أقطاب الصوفية، توفي في حدود سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)، وضريحه بداخل مسجده الكائن بمدينة طرابلس، انظر الأنصاري (أحمد بك النائب): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا، ط٢، (د.ت)، ج١، ص ٦٤.

(٢٠١) رحلة التجاني، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢٠٢) الأنصاري: مصدر سابق، ج١، ص ٦٤.

(٢٠٣) ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٠٩.

(٢٠٤) هو أبو خلف مَطْروح بن قيس الخيَّاط الزاهد، كان فاضلًا جليلًا مشهورًا بالعبادة والاجتهاد. توفي سنة (٢٤٦هـ/٨٦٠م)، انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٥٨-٥٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص٣٤٧-٣٤٨.

(٢٠٥) المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٢٠٦) أحد قصور الرباط بالمغرب الأدنى، بناه عبدالرحيم بن عبد ربه الزاهد (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) بعد استشارة سحنون، وكان ذلك سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٤٢٢. وللوقوف على تفاصيل أكثر حول هذا القصر انظر أحمد الباهي: سوسة والساحل في العصر الوسيط، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٤م، ص ٧٠٨-٧١٠.

(٢٠٧) المالكي: مصدر سابق، ج١، ص ٤٢٥-٤٢٦.

(٢٠٨) هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي. كان ثقة، مأمونًا، بارعًا في الفقه، متعبدًا، ولم يكن بإفريقيَّة في عصره مثله، وكان سحنون يجله ويلجأ إليه في المسائل العلمية، انظر المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٤.

(٢٠٩) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ١٨٦.

(٢١٠) هو أبو عبدالله محمد بن المبارك بن الزيات، معدود في أصحاب سحنون، وهو صاحب

مظالم القاضي ابن طالب، انظر المالكي: رياض النفوس، ج١، ص ٣٧٤، حاشية رقم (٢٣٣)

([٢١١]) المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٤-٣٧٥.

([٢١٢]) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٢١٣) انظر الدباغ: معالم الإيمان، ج ٢، ٣٩، ٥٠، ١٣٤، ١٥٢، ١٨١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٩٨؛ عبدالعزيز المجدوب: الصراع المذهبي، ص ٦٥-٨٦.

(٢١٤) عِياض: تراجم أغلبية، ص ٢٧٢.

(٢١٥) إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٩.

([٢١٦]) هو عثمان بن عبدالله القيسي القرشي، يكنى أبا عمرو، من بيت السلالجي، نزل مرَّاكش، وعاش بفاس وبها توفي، وإنما شهر بالسلالجي لأجل أملاك كانت له بجبل سليلجو، كان يتردَّد إليها من فاس، انظر ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٥٨.

([٢١٧]) لعلَّه كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م).

([٢١٨]) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ١٩٩.

([٢١٩]) المصدر السابق، ص ١٦٩. ونشير هنا إلى حادثة لها مغزاها خلال عصر علي بن يوسف المرابطي (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م)، وهي ظاهرة إحراق مؤلفات الغزالي المشهورة التي أثارت ثائرة فقهاء المغرب، فقد راح الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) يفضح نزعات الفقهاء في دراساتهم الفقهية وحرصهم على الدنيا، ومنذ لحظة دخول هذا الكتاب إلى المغرب تباينت مواقف الفقهاء المغاربة حوله، وكان المعارضون هم الأغلبية، فعندما وقع الكتاب في أيديهم قرأوه وتصفحوه، فثارت ثائرتهم عليه، وتنادوا لرفع الأمر إلى علي بن يوسف بن تاشفين، وكان لا يخرج عن آرائهم في الأحكام وسياسة الدولة، فاجتمعوا به، وأخبروه بوجوب حرق الكتاب وإعدامه، وأفتوه بأنَّه لا تجوز قراءته بحال، فأمر بذلك. للوقوف على تفاصيل أكثر انظر ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٥٣-٢٥٤؛ محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٩م، ص ١٩٣؛ إسماعيل بن عبدالحميد: موقف المرابطين من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دورية كان التاريخية، ع٤٤، ٢٠١٩م، ص ١٢٣-١٣٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا المصادر:

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت٥٦٠هـ):

١- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

- الأنصاري (أحمد بك النائب):

٣- **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا، ط٢، (د.ت).

- الباجي المسعودي:

٣- **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ت: د. محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٢م.

- البادِسي (عبد الحق بن إسماعيل، فرغ من تأليف كتابه سنة ٧١١هـ):

٤- **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، ت: سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- البخاري (محمد بن إسماعيل):

٥- **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م.

- البَكْرِي (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٦- **المسالك والممالك**، ت: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- التجاني (أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد):

٧- **رحلة التجاني**، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٨١م.

- ابن تميم التميمي (أبو العرب محمد بن أحمد، ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م):

٨- **طبقات علماء إفريقية وتونس**، ت: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.

- التميمي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ت٦٠٣هـ/أو ٦٠٤هـ):

٩- **المستفاد في مناقب العبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، دراسة وتحقيق: د. محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ٢٠٠٢م.

- ابن تيمية (شيخ الإسلام أحمد، ت٧٢٨هـ):

١٠- **الجواب الباهر في زُوَّار المقابر**، دراسة وتحقيق: د. إبراهيم بن خالد بن عيسى المُخْلِف، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٢هـ.

- ابن جُلْجُل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، ألفه سنة ٣٧٧هـ):

١١- **طبقات الأطباء والحكماء**، ت: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، سوريا، ١٩٨٥م.

- الجوهري (إسماعيل بن حماد):

١٢- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العر**بية (الجزء السابع)، دار العلم، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١٣- لسان الميزان، الجزء السادس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- ابن حَوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م):

١٤- **صورة الأرض**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).

- ابن خرداذَبَة (أبو القاسم عبيدالله، ت في حدود سنة ٣٠٠هـ):

١٥- **المسالك والممالك**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

- الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني، ت ٣٦١هـ/٩٧٢م):

١٦- **طبقات علماء إفريقية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٧-**قضاة قرطبة وطبقات علماء إفريقيَّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن الحسن، ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

١٨- **مقدمة ابن خلدون**، ت: د. علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٦م.

- ابن خلكان (أحمد بن محمد ت٦٨١هـ):

١٩- **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، الجزء الخامس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- الدبّاغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت٦٩٦هـ):

٢٠- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت٨٣٩هـ)، ت: د. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت حوالي ٦٧٠هـ):

٢١-طبقات المشائخ بالمغرب، ت: إبراهيم طلاي، الجزائر، ١٩٧٤م.

- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م):

٢٢- **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، ت ٧٤٨هـ):

٢٣- سير أعلام النبلاء (ج١٢)، ت: نخبة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ٢٠٠١م.

- ابن أبي زرع (أبو الحسن بن عبد الله الفاسي، ت ٧٢٠هـ):

٢٤- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

- أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر، ت ٤٧١هـ):

٢٥- سير الأئمة وأخبارهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م):

٢٦- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتِي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٧م.

- ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ):

٢٧- فتاوى ابن أبي زيد القيرواني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م.

- السَّمْلالي (العباس بن إبراهيم السملالي، ت ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م):

٢٨- **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

- السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت٩١١هـ/١٥٠٤م):

٢٩- **بغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- الشاطبي (الإمام أبو إسحاق إبراهيم):

٣٠- الاعتصام (الجزء الثاني)، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢هـ.

- الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي، ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م):

٣١- طبقات الفقهاء، ت: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت،١٩٧٠م.

- الصفَدِي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت٧٦٤هـ):

٣٢- **الوافي بالوفيات (ج١٧)**، ت: أحمد الأرنأوود وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن عذارِي (أبو العباس أحمد بن محمد، ت بعد سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م):

٣٣- **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**، ت: بشار عوَّاد معروف ومحمود بشار عوَّاد، دار الغرب الإسلامي، تونس١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

- عِياض (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م):

٣٤- **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، ت: د. محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٨م.

٣٥- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ت: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، ت٧١٤هـ/١٣١٤م):

٣٦-**عنوان الدراية فيمن عُرِفَ من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حققه وعلق عليه: عادل نُوَيْهِض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي، ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م):

٣٧- **الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ت: د/محمد الأحمدي أبي النور، دار التراث، القاهرة، (د.ت).

- ابن القاضي المكْنَاسي (ت١٠٢٥هـ):

٣٨- **جِذْوَة الاقتباس في ذكر من حَلَّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج١.

- القاضي النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن حَيُّون، توفي٣٦٣هـ/٩٧٣م):

٣٩- **المجالس والمسايرات**، ت: الحبيب الفقي، وإبراهيم شَبّوح، ومحمد اليغلاوي، دار المنتظر، لبنان، ١٩٩٦م.

- القِفْطِي (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت ٦٤٦هـ):

٤٠- **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، عني بتصحيحه: السيد محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة المصرية، ١٣٢٦هـ .

- الكتاني (محمد بن جعفر بن إدريس، ت١٣٤٥هـ/١٩٢٧م):

٤١- **سلوة الأنفاس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، الجزء الثالث، ت: د. الشريف محمد حمزة الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (٤)، الرباط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥.

- ابن ماجة (محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م):

٤٢- **سنن ابن ماجة**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى الباب الحلبي)، (د.ت).

- المازري (أبو عبدالله محمد بن عمر، ت٥٣٦هـ/١١٤١م):

٤٣- **المُعْلم بفوائد مسلم**، ت: محمد الشاذلي النيفر، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩١م.

- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٤٩٤هـ):

٤٤- **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ت: بشير البَكُوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، ت ١٣٦٠هـ):

٤٥- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، خرَّج حواشيه وعلَّق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- مقديش (محمود بن سعيد السفاقسي، ت١٢٢٨هـ):

٤٦- **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ت: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- المقريزي (تقي الدين أحمد، ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

٤٧- **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، الجزء الأول، ت: د. جمال الدين الشيال، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- ابن مليح (أبو عبد الله محمد بن أحمد القَيْسِي الشهير بالسِّراج والملقَّب بابن مليح):

٤٨- **أنس الساري والسارب في أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والآرب سيد الأعاجم والأعارب**، ت: محمد الفاسي، فاس، ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م.

- ابن المؤقت (محمد بن محمد بن عبد الله المبارك ، ت ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م):

٤٩- **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، مراجعة وتعليق: أحمد متفكر، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط٣، ص١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- مؤلف مجهول:

٥٠- **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، الجزء الرابع، ت: عمر السعيدي، المعهد الفرنسي، دمشق، (د.ت).

- مؤلف مغربي مجهول:

٥١- **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. م).

- الناصري (أحمد بن خالد):

٥٢- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الجزء الأول، ت: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

- ابن الوزان (الحسن بن الوزان الزياتي، عاش في القرن العاشر الهجري):

٥٣- **وصف إفريقيا**، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٥٤- **معجم البلدان**، المجلد الأول، ت: فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٥٥- **كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، السلسلة الجغرافية (٦)، (د. ت).

ثانيًا: المراجع:

- إبراهيم القادري بوتشيش:

٥٦- **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع. الذهنيات. الأولياء)**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٣م.

- إبراهيم بن محمود عبدالراضي:

٥٧- **نوادر الحكايات في الرؤى والمنامات: دراسة شرعية لأحكام الرؤى وشروط المعبر وضوابط الرؤيا الصحيحة وكيفية معرفتها**، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الاسكنددرية، ٢٠٠٤م.

- أحمد الباهي:

٥٨- **سوسة والساحل في العصر الوسيط "محاولة في الجغرافيا التاريخية"**، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٤.

- حسن حسني عبدالوهاب:

٥٩- خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦م.

٦٠- **كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مراجعة وإكمال: محمد العروسي المطوي وبشير البَكُوش ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

- حميد الحداد:

٦١- **السلطة والعنف في الغرب الإسلامي**، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١١م.

- راضي عبدالله عبدالحليم:

٦٢- **فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد في بلاد المغرب**، الأندلس للإعلام والنشر، الجيزة، ١٩٩٤م.

- عبد الحليم عويس:

٦٣- **قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي**، دار الصحوة، ١٩٨٥م.

- عبد العزيز المجدوب:

٦٤- **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- علي بن محمد العمران:

٦٥- **المشوق إلى القراءة وطلب العلم**، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٢٥هـ.

- فرحات الدشراوي:

٦٦- **الخلافة الفاطمية بالمغرب _ التاريخ السياسي والمؤسسات**، نقله إلى العربية: حمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

- ليفي بروفنسال:

٦٧- **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة: د.السيد محمود عبدالعزيز سالم وأ. محمد صلاح الدين حلمي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- مجمع اللغة العربية:

٦٨- **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- محمد عادل عبدالعزيز:

٦٩- **التربية الإسلامية في المغرب؛ أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

- محمد المنوني:

٧٠- **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٩م.

- محمد حقي:

٧١- **الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط**، مطبعة مانبال، المغرب، ٢٠٠٧م.

- مصطفى باجو:

٧٢- **علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبوريَّة والمواسم**، منشورات السبيل (٩)، سلسلة بحوث في مذهب المالكية (٣)، (م.ت)، ط٢، ٢٠٠٧م.

- الهادي روجي إدريس:

٧٣- **الدولة الصَّنْهاجية**، نقله إلى العربية: حَمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٢م.

ثالثًا: الدوريات العلميَّة:

- أحمد الأسود:

٧٤- **عيسى بن مسكين والتراجم المالكية**، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول بعنوان (النخب والسلطة السياسية من خلال كتب الطبقات)، تونس ١٦،١٧،١٨ نوفمبر ٢٠١٢م، جمع النصوص وأشرف على نشرها: د/ إبراهيم جدلة، الأطلسية للنشر، ٢٠١٤م.

- إسماعيل بن عبدالحميد:

٧٥- **موقف المرابطين من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي**، دورية كان التاريخية، ع٤٤، ٢٠١٩م.

- سلطان بن عبدالله العثمان:

٧٦- **بيان أثر الرؤى والمنامات على الجرح والتعديل**، مجلة العلوم الإنسانيَّة، دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل، ع٦، يوليو ٢٠٢٠.

- شلبي إبراهيم الجعيدي:

٧٧- **الرؤى والمنامات في مصر الإسلاميَّة دراسة تاريخية**، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع٣٦، ٢٠١٠م.

- محمد مؤنس عوض:

٧٨- **الأحلام والرؤى في تاريخ الصليبيين في بلاد الشام وأوربا خلال المرحلة من ١٠٩٨م إلى ١٢١٢م**، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مجلة علمية محكمة يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، ع٣٢، ٢٠١٣م.

- مراد عرعار:

٧٩- **الظاهرة العمرانية ببلاد الساحل وحركة أبي يزيد**، بحث ضمن بحوث ندوة "الظاهرة العمرانية ببلاد الساحل" المنعقدة بالمنستير يومي ٢٥-٢١، سنة ٢٠٠١، أعدها للنشر: محمد حسن، تونس، ٢٠٠٥م.

- موريس لومبار:

٨٠- **الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية _ الذهب الإسلامي منذ القرن السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي**، بحث منشور في كتاب (بحوث في التاريخ الاقتصادي)، ترجمة: توفيق إسكندر، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطابع دار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة، ١٩٦١م.

رابعًا: المراجع الأجنبيَّة:

- De Epalza (M.):

81- "**Al-Munastir d'Ifriqiya et Al-Munastir de Xarq-Al-Andalus**", in Le patrimoine andalou dans la culture arabe et espagnole, Tunis,1992.

- Pons Boigues (F):

82- **Ensayo biobliogràfco sobre los historiadores y geógrafos aràbigo españoles**, Madrid, 1898.

83- Vonderheyden (M):

La berbérie orientale sous la dynastie de Benoù L'Arlab (800-909), Paris, 1927.

Abstract

This research deals with the study of the topic (visions and dreams in the Islamic Morocco until the end of Al-Muwahidin period; a historical study), by defining the concept of dream visions, explaining their sections, then talking about interpreters and explaining their scientific formation and their approach to interpreting dreams, and the extent of people's interest in asking them about interpretation Their dreams, then explaining the impact of dreams on politics, economics and some social aspects, In addition to shedding light on its impact on some religious, intellectual and scientific issues.

The research concluded in the end that Moroccans believed in visions and dreams, at the level of most social groups, including rulers, scholars, scholars and common people. From this standpoint, they were keen to know the interpretation of their dreams, whether by asking those who expressed their interpretation, or by trying personal diligence based on relying on dream words and their connotations, or by looking at some dream interpretation books.

The research also concluded that visions and dreams had different echoes and effects on some political, economic, social, religious and intellectual issues during the study period.

***key words:** visions and dreams; the Islamic Morocco; Muwahidin period.